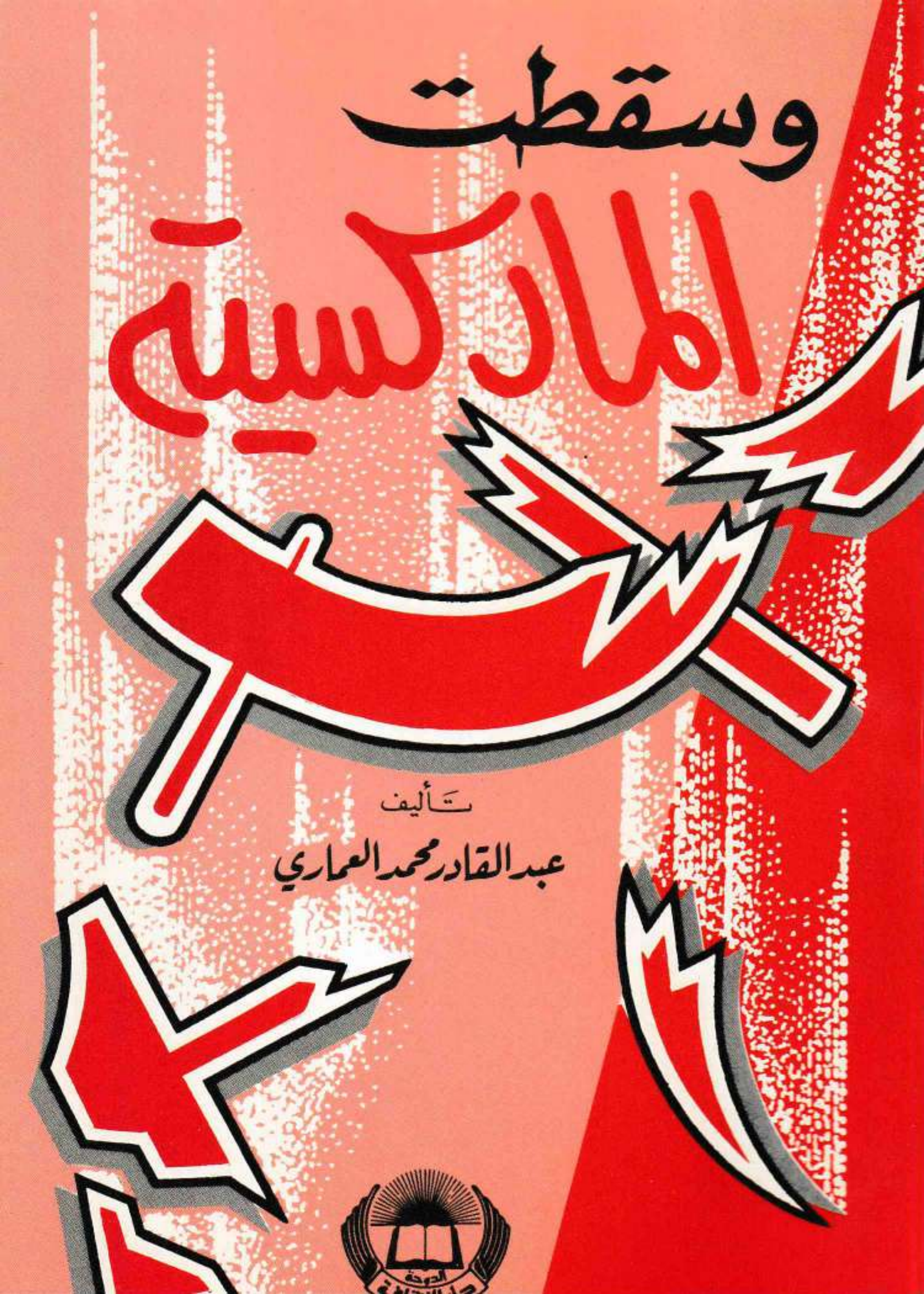


وسقطت
الماركسية
تأليف
عبد القادر محمد العماري

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١١هـ = ١٩٩١م

نشر وتوزيع

دار الثقافة - الدوحة - ص.ب ٣٢٣

مقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلـه وأصحـابه ومن والاه واتبـع هـداه. وبعـد:

لقد استهوت الماركسية كثيراً من الشباب في البلاد العربية والإسلامية ممن ينقصهم الوعي والتعقل والتفكير السليم، فاندفعوا وراء الشعارات والدعايات التي كان يرددها أولئك الذين ارتبطوا بالأنظمة الشيوعية ارتباطاً وثيقاً، من الكتاب والصحفيين والسياسيين، الذين استغلوا أوضاع المنطقة وخضوعها للاستعمار الغربي فأوهموا الناس أن في الشيوعية الخلاص من كل الأوضاع السيئة وأنها الطريق الوحيدة إلى رفع مستوى الشعوب، وإنصاف العمال والفلاحين والمستضعفين.

ومن أجل المساهمة في بيان الحقيقة، وتبديد الظلام، وإزالة الوهم ورفع الغشاوة عن أعين بني قومي، الذين تأثروا بـالأفكار المـاركسية فقـد كتبت العديـد من المقالات التي نشرت على صفحات الجرائد والمجلات وكان قطب الرحى الذي تدور حوله هو هذا الموضوع، وقد كتبتها في مناسبات مختلفة تتواءم مع الأحداث، وتتفاعل مع ما يجد من أخبار وأنبـاء تقذف بهـا إلى أسماعنـا وأبصارنـا وسائـل الإعـلام المختلفة التي جعلت الإنسان المعاصر يرتبط بالعالم كله،

ويتعايش مع مشاكله وأحداثه ساعة بساعة، بل دقيق
ونتيجة لتباعد الفترات التي كتبت فيها تلك المق
واختلاف المناسبات والملابسات التي كانت وراء كتابتها
فإنها جاءت متفرقة ومتنوعة، إلا أن ذلك لم يفقدها وحدة
الموضوع، واتساق الهدف، وانسجام الفكرة والمضمون،
وقد رأى بعض الناصحين والمحبين الذي طالعوا هذه
المقالات على صفحات الجرائد والمجلات، ورأوا فيها
بعض النفع والفائدة أن أقوم بضمها في كُتب يضم ما
تفرق منها، ويجمع ما تشتت من موضوعاتها، واقترحوا على
أن أخرجها للقراء على هيئة كتب حتى يؤدي ذلك إلى سهولة
الاطلاع عليها، وعدم الكلفة والمشقة في تتبع ما توزع منها
على صفحات المجلات المختلفة، واليسر في حالة الرغبة
في الرجوع إليها، ولعل الله عز وجل أن يفتح بها أَعْيُناً طالما
حجبت عنها الدعايات الضخمة التي روّجت للشيوعية ــ
أنوار الحقيقة، وإشراقات الهداية، وأضواء اليقين، ولهذه
الظروف التي مرت بكتابة هذه المقالات والتي أشرت إليها
فربما يلاحظ القارىء أن الكتاب قد جاء غير متناسق في
أبوابه وفصوله، وغير متسلسل في موضوعاته على خلاف
الموضوعات التي تؤلف وفي نية مؤلفها أن تنشر على هيئة
كتاب، ولذلك فإنه يمهد لذلك بوحدة الموضوع، وتسلسل
الفكرة، وانتقاء خطة البحث والكتابة، واختيار التقسيم
الموضوعي للفكرة التي يدور حولها الكتاب، ولذلك فإنني

أرجو أن يعذرني القارىء إذا لم يجد في الكتاب ذلك التناسق الذي ينتظر أن يجده في الكتب الأخرى، وربما يلاحظ أن بعض هذه المقالات قد فقدت مناسبتها وجدتها بعد سقوط الشيوعية في معقلها إلا أنها رغم ذلك ستبقى محتفظة بقيمتها، ولن يعدم القارىء الانتفاع بها خاصة إذا علم من متابعة ما يكتب في الصحف والمجلات أن اليساريين الذين يكتبون فيها لا يزال معظمهم يتبنى الفكر الماركسي، ويدافع عنه، خصوصاً بعض اليساريين من العرب الذين جعلوا من أنفسهم ملكيين أكثر من الملك، ولا يزالون متشبثين بهذا الفكر، ويعتقدون أن ما حدث في شرق أوروبا إنما هو خطأ في التطبيق لا في النظرية، وما كانوا سابقاً ينتقدون التطبيق، ولم يقولوا ذلك إلا بعد انهيار الماركسية، ولا شك أن الماركسية قد افتضح أمرها، وفشلت فكراً وتطبيقاً، لأنها مصادمة للفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، ولأنها مخالفة للسنن والنواميس التي أجرى الله الحياة على وفقها، كما أنها بنيت على التعسف والظلم والجبروت، وكل ذلك لا يدوم.

صحيح أن بعض الناس سيقول: لقد ذهبت الشيوعية بخيرها وشرها بعد أن سقطت في معقلها وعقر دارها، وسقط الشيوعيون من عليائهم إلى الحضيض، ولذا فإنهم يستحقون الآن العطف والرثاء بعد أن أجهزت عليهم شعوبهم، وبعض

قادتها قد مات، وبعضهم الآخر في النزع الأخير يعاني من سكرات الموت (والضرب في الميت حرام). ونحن نرى ذلك أيضاً، إلا أننا نلاحظ أن هناك أصواتاً تنبعث من تحت الأنقاض يحاول أصحابها التشبث بالحياة، والعودة إلى تجديد ما بلي من مبادىء الشيوعية، وبعث ما قد رمَّ من رفاتها، ونحن نخشى أن يتعاطف بعض السذج، ومن يسهل خداعهم مع أصحاب تلك الأصوات التي تبدو واهنة الآن فيؤدي بهم تعاطفهم هذا إلى التأثر بما معهم من بضاعة بائرة.

أمر آخر أحب أن أنبه عليه وهو أن الناجين من الكارثة يحاولون بعد أن افتضح أمرهم أن يتخفوا في ثياب أخرى، وأن يرفعوا شعار الديمقراطية الغربية بعد أن كانت تعني عندهم الاستبداد والقهر وسيطرة رأس المال، وهم قد فعلوا ذلك بعد أن أبدلوها بديمقراطية أخرى سموها ديمقراطية شعبية فيها كل معاني التعسف والبطش والإرهاب والظلم، ومصادرة حقوق الإنسان، فهم يريدون أن يعيدوا الكرة مرة أخرى تحت شعار الديمقراطية الغربية، بعد أن وجدوا أنهم لا ملجأ لهم ولا ملاذ إلا الغرب، الذي أصبح الآن قبلتهم، وربما ينضمون إلى الحلف المقترح (إيتو) الذي سيجمع بين روسيا وأمريكا، وعندما تتهيأ لهم الفرصة لاستعادة مواقعهم فإنهم سيطلون على العالم مرة أخرى برؤوسهم الفارغة إلا

من أفكار شيطانية طالما جلبت للشعوب الفقر والحرمان، وأذاقتها الذل والهوان وسيطر في ظلها الاستبداد والظلم والطغيان.

إن الماركسيين في العالم العربي والإسلامي على استعداد لأن يصطلحوا مع أعداء الأمس، وأن يقبلوا كل فكر ودين، ولكنهم ليسوا على استعداد للقبول بالإسلام، فهم يشنون حملات شعواء على دعاة الإسلام وينشرون الإشاعات الكاذبة في صحفهم ومجلاتهم التي يمولها الرأسماليون، فيلاحظ في كتاباتهم وأحاديثهم أنها كلها تنضح بالحقد واللؤم والافتراء، وحتى لا تخدع أيها القارىء الكريم بما يقولون ويرددون فإن عليك أن تقرأ هذا الكتاب لتستعيد بذاكرتك ما يمكن أن يتكرر في الغد، إذا غفلنا عن درس الأمس، وقد أمرنا الله عز وجل بأن نقرأ سير الأولين، ونتتبع قصص السابقين، لأن في ذلك ﴿عبرة لأولي الألباب﴾. ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [سورة ق: ٣٦ ـ ٣٧].

كلمة أخيرة نحب أن نسوقها للشيوعيين ونذكرهم بها وهي قول الله عز وجل: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنّةُ الأولين﴾ [سورة

الأنفال: ٣٨]. . ﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾ [سورة الأنفال: ٧١].

●●●

الشيخ
عبد القادر بن محمد العماري
القاضي بالمحكمة الشرعية الأولى
الدوحة

إذا سقط المتبوع سقط التابع
لا تفتروا على صحابة رسول الله أيها الساقطون

إذا سقط المتبوع سقط التابع، هذه قاعدة فقهية قانونية، فالتابع مجرد عن أية قيمة ذاتية، ولا يتمتع بأي استقلال ذاتي، فهو مجرد ذيل ملتصق بغيره، وأُمَّعَة لا مكانة له ولا مسؤولية عليه، وهذه القاعدة وإن كانت تطبق في مجال القضاء والقانون إلا أنها فيما يبدو من حيث الواقع تمثل قاعدة شاملة في مجالات الفكر والسياسة، والأيدلوجيات الحزبية، والدليل على ذلك أن العالم يشهد اليوم سقوط الشيوعية ورموزها وافتضاح أمر المتسلطين باسمها، والذين تبين أنهم كانوا يسرقون شعوبهم، ويصرفون الأموال في ملذاتهم وشهواتهم، في الوقت الذي يزعمون فيه أنهم طاهرون مطهرون، ونزهاء مخلصون، وأن غيرهم هو الفاسد والسارق والمستغل، ولما انكشف الغطاء، وتحركت الشعوب لنيل حرياتها، وأمسكت بناصية أمرها، وأسقطت الطغاة المستبدين، الذين غرقوا في الفساد إلى آذانهم، وكان لهؤلاء أتباع وعملاء في كل مكان وخاصة في العالم الثالث، وبحكم هذه القاعدة وطبائع الأشياء بأنه إذا سقط المتبوع

سقط التابع تهاوى كل التابعين والعملاء، وسقطوا بسقوط أسيادهم، ويحاول بعضهم وهو يغرق أن يتشبث بأي شيء يعتقد أن فيه النجاة، وأن ينقذ ما يمكن إنقاذه من سفينتهم الغارقة، التي تحطمت على صخرة وعي الشعوب ويقظتها، فتهاوت وتكسرت أشلاءًا أمام الأمواج العاتية، فجاء من هؤلاء الأتباع الأذناب من العالم الثالث من يريد أن يوهم الناس أن الفساد ليس مقصوراً على أسيادهم وزعمائهم، وسولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يتطاول على الأخيار الأطهار، فكذب وافترى، وزور وزيف لينال من عمالقة الجنس البشري في القيم والأخلاق، إنها أنفس خبيثة سيئة حاقدة لا تتورع عن فعل كل حرام، وأن تسيء إلى كل شريف، وديدن هؤلاء هو الولوغ والطعن في أعراض العظماء بالزور والبهتان، فقد نشر أحد هؤلاء الأتباع في جريدته الناطقة باسم أحد الأحزاب اليسارية في البلاد العربية بتاريخ (١٩٩٠/٣/٧) مقالاً قال فيه (في الفتنة الكبرى نرى من أعلامها من الصحابة: عبد الله بن الزبير وطلحة بن عبيدالله وعمرو بن العاص.. ومن خلال كتب التراث نتعرف على ثرواتهم التي تفوق الخيال بمقياس عصرنا، يذكر ابن سعد في الطبقات عن الزبير بن العوام أنه ترك عند وفاته ما قيمته (٥٢ مليون دينار) بالإضافة إلى سيولة مالية قدرها (٣٥ مليون دينار) و(٢٠٠ ألف دينار) وأنه ترك خططاً ـ أي عمائر ـ بمصر والإسكندرية والكوفة والبصرة وإحدى عشرة داراً بالمدينة

ودارين بالبصرة وداراً بالكوفة. أما طلحة بن عبيد الله ــ الذي كان يتحلى بخاتم من ذهب فيه ياقوتة حمراء ــ فقد ترك سيولة مالية قدرها (٢,٢ مليون درهم) وقيمة ماتركه (٣٠ مليون درهم) ومائة (بهار) وفي كل بهار ثلاثة قناطير من ذهب والبهار مكيال يساوي أردبين (أي ٢٠٠ أردب) من الذهب وأشار إلى الجزء (٣) من طبقات ابن سعد، وصفحات (٣ ــ ١ ــ ٧٧ ــ ١٥٧ ــ ١٥٨) وقال عن عمرو بن العاص إنه أكل خير مصر، ونقل عن المقريزي أنه ترك عند وفاته سبعين بهاراً من الدنانير من الذهب، ثم يقول: لذا لا يستغرب أن يكونوا زعماء للفتنة الكبرى، وقال نسي أولئك أن للفقراء حقًّا ولو أعطوهم حقهم لما بقيت لديهم تلك الملايين المكنوزة والتي تركوها خلفهم، ونسوا أنهم لو أعطوا الفقراء حقهم كما في القرآن لما أصبح المال دولة بين الأغنياء، أو بتعبير عصرنا ما تكونت طبقة من الأثرياء التي تسيطر على معظم الثروة بينما تقاسي الأغلبية من الحرمان، ولقد جاء الإسلام لينقذ الفقراء من ظلم الأغنياء في الشام والعراق ومصر وإيران ولكن الذي حدث أن الزعماء الجدد ورثوا كنوز الأكاسرة والقياصرة، ولم يلتفتوا لإصلاح حال الشعوب إلخ. ثم يقول إن صمام الأمن في أي مجتمع هو إعطاء الفقراء حقهم، وإذا أكل الأغنياء حق الفقراء فإنما يحفرون قبورهم بأيديهم، حتى لو كان أولئك الأغنياء من السلف الصالح).

ويلاحظ أن هذا المفتري على صحابة رسول الله ﷺ

استند في كلامه إلى طبقات ابن سعد، وإذا رجع القارىء إلى طبقات ابن سعد سيجد أن الكاتب قد زيف الحقيقة ولم يكتب إلا ما وافق غرضه السيىء، وأنه فعل كالذي قرأ ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ وترك: وأنتم سكارى، وطبقات ابن سعد على الرغم من أنها ليست من المصادر الموثقة ككتب الحديث الصحيحة إلا أن الكاتب مع ذلك لم يذكر العبارات على حسب ما جاءت في الطبقات، واجتزأ ما يتفق مع غرضه، إذ المعروف من كتب السيرة والتاريخ جميعها أن الزبير رضي الله عنه ـ نظراً لما اشتهر به من الصدق والأمانة والنزاهة في تجارته ـ كان الناس يودعونه أموالهم، وكان هو لتحريه وحرصه على المال الحلال، ومحافظته على أموال المودعين يقول لأصحاب الأموال لا تجعلوها لدي ودائع وإنما اجعلوها قروضاً في ذمتي، وذلك لتكون مضمونة في ذمته وذمة ورثته من بعده، حيث إن الودائع في الحكم الشرعي لا يضمنها الوديع إذا تلفت من غير تقصير منه، وإذا كانت سلفاً فهي مضمونة على كل حال، وحتى يمكنه أن يتصرف فيها فيحفظها في شراء مزارع ودور، وفي نفس كتاب الطبقات لابن سعد في المواضع التي أشار إليها الكاتب ما يلي: (وقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أراضين فيها الغابة وإحدى عشرة داراً بالمدينة ودارين بالبصرة، وداراً بمصر، وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال ليستودعه إياه فيقول الزبير لا، ولكن هو سلف، إني أخشى عليه

الضيعة، وما ولي إمارة قط ولا جباية ولا خراجاً ولا شيئاً إلا أن يكـون في غزو مـع رسول الله ﷺ ومـع أبي بكر وعمـر وعثمان) أي فهذه الأموال التي خلفها الزبير، والتي اختلف الرواة في تقدير أثمانها بعد أن بيعت لقضاء الديون وتوزيع الباقي على الورثة إنما كانت من طريق مشروع، وليست نهباً من أمـوال الناس كمـا يفعل الشيـوعيون والـطغاة، فلمـاذا يتجاهل الكاتب هذا النص الموجود في كتـاب طبقات ابن سعد الذي زعـم أنه قرأه؟ ولمـاذا يبتر الكـلام ويقطعـه عن سياقه؟ هل هذه هي الأمانة العلمية التي يتشدق بها الكتاب الثوريون؟

أما بشأن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وهو مع الزبير من العشرة المبشرين بالجنة، وهو الذي حمى رسول الله ﷺ بجسده في معركة أُحد، وأثخن بالجراح في جسده دفاعاً عن رسول الله ﷺ فقد كان من التجار المرموقين في الجـاهلية والإسـلام، وكان يتـردد إلى الشام في الجـاهلية من أجـل التجارة، وهو الذي قابل الراهب الذي بشر بالرسـول ﷺ، وعندما عاد إلى مكة وأخبر بذلك آذاه المشركون، وقيدوه مع أبي بكر بالحبال حتى سمي هو وأبا بكر بالقرينين لأنهما قيدا معاً، وكان غنياً ثريًا، من التجارة والزراعة، وهو أول من زرع القمح في الجزيرة العربيـة، فقد كـان يزرع على عشـرين ناضحاً. وقد اشتهر بالسخاء والكرم حتى قيل كما في كتاب طبقات ابن سعد نفسه: ما أحـد أعم بسخاء على الـدرهم

والثوب والطعام من طلحة، وكان عطوفاً على أقاربه، وكان لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلا كفاه مؤنته ومؤنة عياله، وزوج أيـامـاهـم (غيـر القادرين على الـزواج من النساء) وخـدم عائلهم وقضى دين غارمهم، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشرة آلاف درهم، والمعروف أن عائشة كانت من أعظم نساء المسلمين المتصدقات على الفقراء والمحتاجين، كل ذلك مذكور في كتب السيرة، بما فيها طبقات ابن سعد نفسها، فلماذا يتجاهل الكاتب كل ذلك ويذكر حكاية التختم بالذهب والياقوتة الحمراء؟ وإذا كان من روى ذلك من الذين يريدون الإساءة إلى صحابي جليل بسبب المعتقد المذهبي، هل يصدق هذا الراوي وتترك كل السيرة العطرة؟ وهل يعقل أن من بشـر بـالجنـة، ومن قـدم روحـه وجسـده ليحمي رسـول الله ﷺ يخـالفـه بعـد ذلـك في أمـره بمنـع التختم بالذهب؟ وإذا فرضنا جدلاً أنه تختم بالذهب ورأى جـوازه لعدم بلوغه نهي رسول الله ﷺ هل ذلك يعني أنه نهب أموال الفقراء كما يدعي الكاتب؟

إن أموال الفقراء نهبها الشيوعيون والطغاة، لا صحابة رسول الله الذين قامت على أكتافهم دعوة الإسلام ودولته التي أنصفت الفقراء من الأغنياء، وكانوا أول القائمين بحق الفقراء ونصـرة الشعوب، ولـو كانـوا كما ذكـر الكـاتب لم يلتفتـوا لمصالح الشعوب بعد أن ورثـوا كنوز الأكـاسرة والقيـاصرة

لثارت عليهم تلك الشعوب نفسها، لا أن تعتنق الإسلام، وتتولى الدفاع عنه، ولتخلت عن الإسلام كما تخلت شعوب أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي عن الماركسية والماركسيين، وما ذكره الكاتب عن الفتنة التي جرت بسبب مقتل عثمان يدل على جهله الفاضح، والمضحك بأحداث التاريخ وأسبابها.

وقوله إن عمرو بن العاص أكل خير مصر لم يبين لنا أين هذا الخير الذي أكله عمرو بن العاص؟ وأين ذهب به؟ فهل كانت هناك بنوك في المدينة هرب إليها أمواله كما يهرب قادة الشيوعيين الآن أموالهم إلى سويسرا؟ هل يملك عبد الله بن عمرو بن العاص من تركة والده ما يملكه الآن ابن أفقر واحد من الحكام الثوريين؟ هل يعقل أن يسكت الناس على الفساد في ذلك العصر في الوقت الذي لم يسكت فيه مواطن من أقباط مصر على ضربة من ابن عمرو بن العاص، وذهب إلى المدينة ليشكوه أمام أمير المؤمنين الذي أنصفه وقال قولته المشهورة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!) وقد وجد عمرو بن العاص من يراقبه ويحاسبه وهو في أوج سلطانه، ووجد من يمنعه من الجمع بين الإمارة والتجارة، ويحاسبه على الوقت الذي شغله بالتجارة ويقول له إن وقتك كله ملك للمسلمين ما دمت تتقاضى راتباً على وظيفة الإمارة، والتزم عمرو بتوجيهات أمير المؤمنين وقام بواجبه

خير قيام في السهر على مصالح الناس، وحفظ بيضة الإسلام، ولو لم يلتزم لما بقي في الإمارة يوماً واحداً. ومما يجدر ذكره هنا أن ابنه عبد الله هو الذي روى حديث لعن الراشي والمرتشي.

وجاء في كلام الكاتب غمز ولمز في الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ولا يجهل أحد أن الخليفة عثمان قد ظلم، وقتل مظلوماً على يد أوغاد جاءوا من مصر ولا يزال يظلم من الكتاب وأصحاب الأفكار المنحرفة إلى اليوم، عثمان لم يجمع ثروته من الخلافة، كان تاجراً في الجاهلية والإسلام، وكان يدفع أمواله عن طريق المشاركة المعروفة بعقد القراض أو المضاربة، وكان ينفق من أمواله على شؤون المسلمين، وقد حقق أمنية الرسول ﷺ في شراء بئر رومة، ووقفها على المسلمين للشرب، وجهز جيشاً كاملاً على حسابه وسمي جيش العسرة، وكان الرسول ﷺ يستخلفه عندما يذهب في غزوة، استخلفه عندما ذهب إلى غزوة ذات الرقاع واستخلفه عندما ذهب إلى غطفان، أما في غزوة بدر فقد تأخر عن الغزو بسبب مرض زوجته بنت رسول الله ﷺ، وضرب له الرسول ﷺ بسهم كأنه شهد المعركة، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، فمن كانت هذه مكانته في الإسلام، ومكانته عند رسول الله، وهذه ثروته التي كونها من المال الحلال قبل الخلافة، هل يمكن أن يتطرق إليه الفساد، أما ما

يقال من أنه ترك الحبل على الغارب فهذا ادعاء ليس عليه دليل، وتوليته لبعض أقاربه الذين رأى فيهم الكفاءة لم يكن بسوء نية، وإنما ذلك اجتهاد منه، وأكثر ما قيل في هذا الشأن إنما هو نتيجة خلافات سياسية، كما أن أكثر ما قيل عن بني أمية كان نتيجة ما كتب في روايات التاريخ التي دونت في عهد أعدائهم، ونحن نعتقد أن كل هؤلاء بشر يصيبون ويخطئون، لكن تضخيم الأخطاء ليس من العدل، كما أننا نؤمن بحرية الفكر، وحرية النقاش بشرط أن يكون منطلقاً من حسن النية لا من الحقد والكراهية والتعصب المذهبي أو الفكري، فالذين يستغلون الحرية، ويتهمون الناس بالحق وبالباطل لا بد أن يحاكموا أمام العدالة إن لم تردعهم ضمائرهم، فنحن نرى الآن كل من اتهم في أمر، أو ألحق به أذى يلجأ إلى القضاء ليطلب معاقبة من تجنّى عليه، وإيقافه عند حده، لكن الذين يتجنون على صحابة رسول الله ﷺ، الذين شهد لهم القرآن برضاء الله عنهم، وينسبون إليهم ما ليس فيهم، كذلك الكاتب الذي يتهمهم بأنهم أكلوا أموال الفقراء، لمجرد أنهم أغنياء، ألا يستحق هذا أن يحاكم ويقال له أثبت اتهامك لهم أنهم أكلوا أموال الفقراء؟!.

إن الإسلام وكل الشرائع والقوانين لم تمنع التجارة المشروعة، والكسب المشروع، فهل كل من اغتنى عن طريق التجارة والكسب المشروع يعتبر مداناً؟ أليس المنطق

والعقل والقانون يقول إن المدان بالفساد هو من يستولي على أموال الناس بالباطل بحجة التأميم، ويحول الناس إلى فقراء ويتنعم هو بأموالهم، ويتخذ لنفسه الاستراحات والقصور، ويركب السيارات الفارهة، ويقيم الحفلات والسهرات، ويصرف على ملذاته وشهواته من المال العام؟

ألم يثبت أن كثيراً من أولئك قد هربوا الأموال إلى بنوك أوروبا وأمريكا وتركوا شعوبهم يطحنها الفقر.

إن بعض الكتاب اليساريين بعد أن أفلسوا في أفكارهم ومبادئهم وأخلاقهم أخذوا يتصيدون أخطاء الآخرين ليقولوا إنهم ليسوا وحدهم هم الذين فشلوا وأفلسوا، ويلاحظ أنهم يتسترون الآن خلف شعارات، ولافتات أخرى، بعد أن سقطت تلك الشعارات واللافتات التي كانوا يرفعونها، ولكن هيهات هيهات لقد انكشفوا ولا مناص أن يسقط التابعون كما سقط المتبوعون ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًّا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب، إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتُّبعوا لو أن لنا كرّةً فنتبرأَ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ [سورة البقرة، الآيات ١٦٥ ـ ١٦٧].

●●●

حيوانات سياسية

هذا التعبير ليس من عندي، وإنما هو تعبير أطلقه المثقفون اليساريون على زملائهم اليساريين العرب، لأنهم لم يستوعبوا فهم التغييرات الأخيرة في الاتحاد السوفييتي، ودول الكتلة الشرقية، وتشبثوا بأفكارهم؛ رغم فشلها وعدم واقعيتها، ولم يراعوا في تطبيق تلك الأفكار اختلاف الأحوال والظروف في بلادهم عن البلاد الأخرى، وتجاهلوا أن ما يجمع العرب هو الدين والحضارة والتاريخ، لا الاشتراكية ولا الشيوعية ولا أي شيء آخر، وأن رفع شعارات التقدمية، ومحاربة الإمبريالية، والصداقة مع دول المنظومة الاشتراكية لا يكفي لإقناع الشعوب العربية بصدق التوجه لحل مشاكلها، وأن ممارسة العنف من السلطات التي تدعي الاشتراكية ضد شعوبها قد أثار الكراهية ضد الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية التي ترفع تلك السلطات شعارات الصداقة معهم. وقد أثبتت ممارسات اليساريين العرب أنهم يراهنون على الحصان الخاسر، ولا يميزون بين الخطأ والصواب، ولم يتبينوا الحقيقة التي ظهرت لغيرهم من أنهم فعلاً حيوانات سياسية، ويستحقون هذا اللقب بجدارة، لأن الله تعالى قد وهب الإنسان عقلاً يميز بين

الطيب والخبيث، والخير والشر، والحق والباطل، وهؤلاء لا يميزون ولا يستحقون شرف الانتماء إلى الإنسانية، لأنهم لا يحترمون حقوق الإنسان.

فليس لـلإنسان في قـاموسهم أي حق ـ مهمـا ادعـوا ورفعوا من شعارات ـ وقد شيدوا من السجون والمعتقلات أكثر مما شيدوا من المدارس والمستشفيات، واتجه تفكيرهم كله إلى المزيد من الاضطهاد والعنف ضد شعوبهم، وتنكروا للمبادىء الإنسانية والأخلاقية ورفعوا شعارات ليس لها في الواقع وجود:

● زعموا أنهم إنما جاءوا لتطبيق العدالة الاجتمـاعية، والقضاء على الظلم والاستغلال والاحتكار، فإذا بهم يشيعون الظلم بأبشع أنواعه، والاستغلال في أسوأ صوره، والاحتكار في أردأ أقسامه.

● والمنتمون إلى الحزب هم الوحيدون الذين يتمتعون بالامتيازات، ويتقلبون في نعمة العيش الرغيد، بينما أفراد الشعب يعيشون حياة البؤس والشقاء، بل إن بعضهم يعيش حياة «تقرف» منها الصراصير!.

● هذه هي اشتراكيتهم العلمية التي بشروا بها، وهذه هي أيدلوجيتهم التي تبنوها، فكانت وعودهم كلها سراباً في سراب ﴿أعمالهم كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه

لم يجده شيئاً﴾ .

كانت شعوب الاتحاد السوفييتي والدول الشرقية ضحيةً للفكر الماركسي ، وكان المفروض أن يتعظ اليساريون العرب بما جرى لهذه الشعوب فلا يتبنوا هذا الفكر، ولكن لضعف عقولهم وقصور تفكيرهم لم يتعظوا ، لأن الذي يتعظ بغيره هو العاقل فقط .

واليوم وجدت هذه الشعوب الفرصة للتخلص من النظام الشيوعي الاستبدادي بفضل التغييرات التي حصلت في القيادة السوفييتية ، وقد رأينا كيف أن بولندا والمجر بادرتا إلى التفاهم مع المعارضة ومع الكنيسة ، بل واعترفت المجر بالدين الإسلامي بعد أن أزيح عنها كابوس الستالينية ، لكن لا يمكن أن يقدم اليساريون العرب على خطوة كهذه التي أقدمت عليها بولندا والمجر ، ولن يتفاهموا مع المعارضة لسبب بسيط هو أنهم لا يزالون على طبيعتهم وجاهليتهم القديمة ، وإن زعموا أنهم تقدميون ، فهم لم يتخلوا عن أنانيتهم وعن جاهليتهم التي تذكرنا بقول عمرو بن كلثوم :

ونشرب إن وردْنا الماءَ صفواً ويشربُ غيرُنا كدراً وطينا

إن العروبة عندهم هي عروبة الجاهلية ، لا العروبة التي هذبها الإسلام الذي تنكروا له باعتناقهم للماركسية ، فجمعوا بين الجاهلية القديمة والجاهلية الحديثة ، فالإسلام جاء

وهذّب العرب، وهذب عاداتهم، وأزال عنهم عيبة الجاهلية، وجعلهم أصحاب رسالة، وأوجد فيهم صفات الحب والإيثار والرحمة، ولكن هؤلاء رفضوا، وزعموا أن العروبة هي البديل عنه وتجاهلوا التاريخ بل زيفوه من أجل تأييد أفكارهم، وهم ـ إن أشادوا بشيء من تاريخ الإسلام ـ فالإشادة تقتصر على ثورة الزنج، وفكر القرامطة، وما شابه، وتجاهلوا أن العرب كانوا قبائل متنافرة متناحرة وحدها هذا الدين العظيم، وأنهم كانوا فقراء فأغناهم الله بالإسلام، وأنه لولا الفتوحات لما كانت مصر والشام والعراق والمغرب بلاداً عربية، فالعرب بغير الإسلام لا شيء، وبالإسلام كل شيء.

نادى هؤلاء بالقومية العربية التي تنكر الإسلام بتبنيها للاشتراكية العلمية، لأن تبني الاشتراكية العلمية إنكار له ومعارضة، وبعضهم حاول أن «يتوسط» فاعترف بدور الإسلام في تاريخ العرب وحضارتهم، ولكن جعله كالنصرانية، ويجب أن يحصر في المسجد ولا يقحم في شؤون المجتمع، فهو علاقة بين الإنسان وربه انطلاقاً من المقولة الخبيثة: «الدين لله والوطن للجميع»، أما الحياة والحكم فيجب أن يبعد الإسلام عنهما، وأن يعطى «ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

ونحن نقول لهؤلاء: ليست المسألة هوىً: تأخذون ما تشاؤون وتتركون ما تشاؤون، وكلمة الدين لله والوطن للجميع أو ما لقيصر لقيصر وما لله لله ليست آية قرآنية ولا سنة

نبوية يجب اعتبارها، فالجميع لله: الدين والوطن وقيصر وما له، فإذا كانت النصرانية قد حصرت في الكنيسة فإن الله تعالى لم يحصر الإسلام في المسجد، والمسلم لا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

وإذا كان قائل هذا القول غير مسلم فليس للمسلمين أن يأخذوا بقوله، ومن أراد أن يأخذ بقوله فيتنكر لإسلامه، وينكر ما علم من الدين بالضرورة فهذا شأنه ولكنه لا يخدع المسلمين ويدعي الإسلام، مع كفره.

ونقول لهؤلاء أيضاً: يجب أن تكون لنا شخصيتنا المستقلة كمسلمين، فلا نتبع الشرق ولا الغرب، فكلا النظامين ــ الشيوعي والرأسمالي ــ لا يصلح لنا، فالنظام الشيوعي قد ثبت فشله، أما النظام الرأسمالي فآثاره واضحة فيما يفرضه المرابون الجشعون على الدول الفقيرة بسبب الديون التي أدت إلى الاضطراب والفوضى، والبنك الدولي يقدم من الاقتراحات ما يزيد الطين بلة. ولا يمنعنا الإسلام أن نأخذ خير ما عند الغرب وخير ما عند الشرق، ولكن له نظامه الخاص فهو يمنع الاحتكار والاستغلال، ويقوم نظامه على الشورى، ويعطي ولي الأمر وأهل الحل والعقد حق إصدار الأنظمة والقوانين التي تحفظ مصالح المجتمع وتضمن سير العدالة فيه، ولكن ليس لمجلس الشورى أو البرلمان أو الحاكم أن يشرع قانوناً يبيح ما حرمه

الله، أو يحرم ما أحله الله، فالمجتمع الذي يسير على نهج الإسلام ليس فيه ظلم ولا استبداد، ليس فيه بيوت دعارة ولا بيوت قمار، ولا حانات خمر، والحرية فيه مقيدة بأوامر الشرع، فلا فوضى جنسية، ولا فوضى اقتصادية، ولا فوضى اجتماعية، اعمل ما تشاء، وكل ما تشاء ولكن لا ترتكب ما حرمه الله، ولا تعتد على أحد، ولا تضر بمصالح الناس، وعلى الدولة أن توفر لكل مواطن فرص العمل الشريف، وتوفر له الأمن والاطمئنان، فليس في المجتمع الإسلامي من يسمون بزوار الفجر، ولا جواسيس القصر، والقضاء فيه مستقل، لا سلطان لأحد عليه، ولا تأميمات ولا مصادرات للأملاك إلا إذا ثبت أنها كانت من طرق غير مشروعة.

فإذا كان هذا هو الإسلام فلماذا ينقمون عليه؟

لقد حاولوا أن يفرقوا بين الدين والسياسة، ويقولون هناك إسلام سياسي وإسلام غير سياسي، وهم يريدون من وراء هذا التفريق أن يسكت أهل الحق عن تصرفاتهم المنافية للإسلام، وأن يسكتوا عن منكراتهم وجرائمهم في حق الدين وحق الشعوب، ليس هناك إسلام سياسي وإسلام غير سياسي إلا من وجهة نظر أهل النفاق وأعداء الإسلام الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، بل هناك إسلام واحد له كلمته في السياسة، وكلمته في الاقتصاد، وكلمته في سلوك الفرد والجماعة، وإن من ينكر ذلك فليس من الإسلام

في شيء.

وإذا أردت أن تعرف المنافقين في هذا العصر فهم أولئك الذين يمدحون الإسلام بينما يهاجمون دعاته، والذين يريدون إسلاماً على هواهم، لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر.

المنافقون هم أولئك الذين يضربون حماة الإسلام ليظل بلا حماية حتى يجهزوا عليه.

وهم يمدحونه مراوغة ونفاقاً، ولكنهم لا يريدون أحداً أن يدعو إلى تطبيقه في حياة المسلمين.

بعضهم يكتب الصفحات في مدح الإسلام ويصفونه بأنه الدين الحنيف، والإسلام العظيم الذي كرم المرأة، وأنصف الضعفاء، ولكنهم يدعون إلى تبرج المرأة واختلاطها بالرجال الأجانب.

وبعضهم يكتب في مدح الإسلام ويدعو إلى العلمانية والماركسية في شؤون المجتمع.

ومن علاماتهم أنك قلَّ أن تجد أحدهم يدخل المسجد إلا إذا كان في مناسبة عيد أو جنازة، ومع ذلك يدّعون الإسلام، إنهم مسلمون بالوراثة، مسلمون جغرافيون يحسبون عند تعداد المسلمين في العالم.

وإنك إذا تأملت في أحوال هؤلاء ستجد أنهم في

مواقفهم لا يختلفون في شيء عن حال وموقف المنافقين الذين كانوا في عصر النبوة، إذا تأمل المسلم آيات القرآن في المنافقين سيجد أن صفات المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات لا تختلف عن صفات هؤلاء بالنسبة لتصرفاتهم مع المؤمنين، وسلوكهم في المجتمع الإسلامي، ولنقرأ هذه الآيات ﴿بشِّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيبتغون عندهم العزة، فإن العزة لله جميعاً * وقد نَزَّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آياتِ اللَّهِ يُكفرُ بها ويُسْتَهزأُ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرهِ، إنكم إذاً مثلُهُمْ إن اللَّهَ جامِعُ المنافقين والكافرين في جهنَّمَ جميعاً * الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتحٌ من الله قالوا: ألم نكن معكم، وإن كان للكافرين نصيبٌ قالوا: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم مِّنَ المؤمنين؟ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * إن المنافقين يُخادعون الله وهو خادعهم، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، يراءون الناس، ولا يذكرون الله إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجدَ له سبيلاً * يـأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً * إن المنافقين في الدرْكِ الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله

فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾
[سورة النساء، الآيات: ١٣٩ ــ ١٤٦].

●●●

الجريمـة النكـراء

لم يكتف الشيوعيون البلغار باضطهاد الأقليـة المسلمة في بلغاريا، وإرغامهم على تغيير أسمائهم الإسلاميـة إلى أسماء سُلافيـة للقضاء على هـويتهم، وإرغامهم على تـرك ختان أولادهم، والتضييق عليهم في العبادة بألا يستخدمـوا المساجد إلا يوماً في الاسبوع.

ولم يكتف الشيـوعيـون بــطرد المسلمين من ديـارهم متحدين القوانين والمواثيق الدولية، وانتهاك حقوق الإنسان، لم يكتفوا بكل ذلك بل تمادوا في حرب الإسلام حرباً شعواء تتمثـل في الكذب والـزيف والتزويـر الذي يمـارسونـه في صحافتهم، فقد نشرت صحفهم مقالات ومسلسلات تتهجم على الإسلام، ومن ذلك ما نشرته صحيفة (سومنسيكا زوريا) البلغارية، إذ وصفت الإسلام بأنه دين بدائي، وأن المحمدية مجاميع مستمـدة من العقائـد الدينيـة السابقـة، وأن الدين الإسلامي مناهض للعلم والفن، وأن موقف الإسلام تجـاه التاريخ الإنساني موقف بدائي جـدًّا، وأن هذا يكفي لدحض الـرأي القائل بأن الإسلام يعتبر حامياً للفن والثقافة بينما هو يخاصم الثقافة والفن، ثم اللجوء للحديد والنار لنشر الديانة

المحمدية، التي لا تملك أي جانب إيجابي يجذب الناس إليها من غير المسلمين، وأن الإسلام استمد من شعوب الدول التي توطّد بها قسراً القواعد والأساليب السياسية والدينية والثقافية والأخلاقية، وأن صفات التواضع ودعم المؤسسات الخيرية، ومد يد العون إلى الفقراء مستمدة من المسيحيين.

ونشرت مجلة (اتيستيجنا تربيونا) البلغارية التي تصدر كل شهرين مقالاً تحت عنوان (العناصر الوثنية في الإسلام) ادعى كاتبه بأن الإسلام مفعم بالعديد من العقائد الباطلة، وخصائص الوثنية، ويعطي مناسك الحج مثالاً على كلامه قائلاً بأن المناسك ليست إلا احتفالاً ينطوي على خصائص قبلية كانت موجودة قبل الإسلام، ويزيد بأن هناك عادة ربط العُقد لدى المسلمين التي تستهدف طرد الأرواح الشريرة، وشفاء المرضى، إلى غير ذلك من التشويه والتهجم، ولذلك فالمسلمون مطالبون أن يقفوا موقفاً موحداً من هذه الدولة الطاغية الباغية التي طردت المسلمين الأتراك، ومارست العنصرية ضدهم، وتجاهلت الاتفاقية المعقودة بينها وبين تركيا سنة (١٩١٩ م) التي عقدت بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية والتي تحفظ للمسلمين الأتراك حقهم في البقاء في بلغاريا، واتفاقية الصداقة التركية البلغارية سنة (١٩٢٥ م) والمؤكدة باتفاقية عقدت سنة (١٩٦٨ م)، وجاء في تقرير

الأمم المتحدة تفصيل لما يتعرض له الأتراك المسلمون في بلغاريا، وناشدت الأمم المتحدة والهيئات الدولية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والدول الإسلامية بلغاريا أن توقف حملتها واضطهادها للمسلمين، ولكن بلغاريا لم تحفل بكل ذلك بل تمادت في طغيانها وتعسفها، وأثبت الشيوعيون بما يقومون به من تصرفات عنصرية أنهم كاذبون في زعمهم أنهم ضد العنصرية، والعرقية الطائفية، وفي يوغسلافيا أيضاً يقوم الشيوعيون الصليبيون باضطهاد المسلمين، وتبين أن رئيس الحزب الشيوعي في الصرب يتعصب للمذهب الأرثوذكسي، ويريد أن يُدخل المسلمين فيه بالقوة، وكل ذلك يناقض ما ينادي به الشيوعيون، ويناقض شعاراتهم.

●●●

وسقط الانموذج الاشتراكي

قبل ربع قرن قام اليساريون في بورما بانقلاب على الحكم القائم في بلادهم، وأسسوا حزباً وحيداً سموه حزب الأنموذج الاشتراكي، واحتكروا السلطة، والنشاط السياسي والاجتماعي، وصادروا حريات الآخرين، وكما هي عادة اليساريين فإنهم يرون أن من لم يكن على نهجهم فهو عميل للامبريالية والرجعية، وأن حزبهم هو الحزب الوحيد الذي يجب أن يستولي على كل شيء في البلاد، وأن أعضاء الحزب هم الوحيدون الذين لهم حق التحدث باسم الوطن، ولهم وحدهم حق التمتع بالأمتيازات المادية والأدبية، وأولادهم والمنتسبون إليهم، ومحاسيبهم هم الذين يجب أن يحصلوا على فرص التعليم، والفوز بالمنح في الخارج، وهكذا يصبح الوطن ملكاً خاصًا لأفراد الحزب ومع ذلك يتشدقون بالعدالة والمساواة، والديمقراطية، وقد عاش شعب بورما كغيره من الشعوب التي نكبت بحكم اليساريين، ووقعت تحت كابوس التسلط والديكتاتورية الحزبية طيلة السنين الماضية منذ قام الانقلاب اليساري، وعاش الناس في كبت واضطهاد، وخنق للحريات، مع انتشار الفساد والرشوة والمحسوبية، واستأثر أعضاء الحزب بخيرات البلاد، فلا

توجد في البنوك إلا أرصدتهم، التي جمعوها من عرق الشعب، فأوجدوا بذلك طبقة جديدة مستغلة، تتكون من مجاميع الصعاليك والجهلة ومحترفي الاجرام، حتى ضاق الشعب ذرعاً بالوضع المأسوي الذي يعيشه، فخرج عن بكرة أبيه منددا بالاستبداد والظلم والديكتاتورية، وتعرض الآلاف منهم لرصاص شرطة النظام، ولم تتوقف المظاهرات ولا الاحتجاجات حتى سقط نظام الحزب الواحد، واعترف المسؤولون بالتعددية والديمقراطية تحت ضغط الشعب، وعلى الرغم من النظام الحاكم.

لقد درج اليساريون على الادعاء دائماً أنهم يمثلون الشعب، ويعبرون عن أحاسيسه وطموحاته، ودرجوا على سرقة مكاسب الشعوب عندما تحين لهم الفرصة، ويشكلون تنظيماً واحداً يفرضونه على الناس، ويصير معبوداً من دون الله، ويرفعونه فوق إله السموات والأرض، له الأمر من قبل ومن بعد، وهذا أمر طبيعي عند اليساريين الشيوعيين، لأنهم لا يؤمنون بالإله الواحد الأحد، الفرد الصمد. فاتخذوا لأنفسهم آلهة يعبدونها من دون الله، تتمثل في زعيم مستبد، أو حزب يهيمن عليه مجموعة من المستبدين المتغطرسين المغرورين، وهكذا تسير الأمور في المجتمعات التي يسود فيها الفكر الماركسي الإلحادي، ويسيطر عليها الطغاة المستبدون، حتى يضيق الشعب ذرعاً بالوضع، وتضيق عليه

حلقات المأساة، فينقض على ذلك النظام الغاشم الباغي، فينسفه نسفاً، وينتقم لنفسه من الطغاة الذين أصلوه نار الجوع والاستبداد، وكبت الحريات.

وعيب اليساريين أنهم لا يتعظون بمصائر من سبقهم من الطغاة والمستبدين، فيتمادون في غيهم ويغالون في استبدادهم، وظلمهم وعسفهم، حتى تقع الواقعة، وتدور عليهم الدوائر، ذلك لأنهم أغبياء، جمدت عقولهم كما جمدت وقست قلوبهم، ومن كثرة ما يكذبون ويزيفون، ويقلبون الحقائق يصدقون أنفسهم، ويظنون أن ما هم عليه من الزيف والغش والتزوير هو الحق الصحيح الذي لا ريب فيه.

ومع الأسف فإن بعض الشعوب تستسلم للواقع، وتتحمل الأذى، ويستبد الجبن والخوف بعناصرها القيادية التي تتطلع إليهم للتخلص من المأساة، وبعض هذه القيادات مع الأسف يستمرىء هذا الواقع وتجعل من المعارضة مجرد ارتزاق، تستسيغ معه الإهانة، وتتحملها وتتخلى عن واجباتها من أجل استمرار المعيشة المترفة في الخارج، ولا يهم عندهم أن يعيشوا على حساب دموع شعوبهم، ذلك لأنهم لا يختلفون كثيراً عمن يعارضونهم في القيم والمبادىء التي يريدون تطبيقها، وتصبح المعارضة مجرد صراع على الحكم، وإذا كان بعض الناس يغبط من يعيشون في ظل

الإهانة فإن هؤلاء قد فقدوا إحساسهم بالكرامة الإنسانية، وماتت ضمائرهم، وانحطت هممهم، وما أصدق ما قاله أبو الطيب:

واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسامُ
ذَلَّ من يغبطُ الذليلَ بعيشٍ رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ
كلُّ حلمٍ أتى بغير اقتدارٍ حجةٌ لاجئٌ إليها اللئامُ
من يَهُنْ يسهلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

إن القيادات المخلصة تتحرك في اتجاه بث الحماس، وإيقاظ الشعوب، والتخلص من حياة الذل، وإسقاط أنظمة الظلم والاستبداد لإقامة مجتمع العدالة، واحترام حقوق الإنسان، والليل مهما طال فلا بد بعده أن يبزغ الفجر، ويتبدد الظلام.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتُها فُرِجتْ وكنت أظنها لا تفرجُ

وإنما تفرج الكربات بالعمل الصادق، والتوجه الصادق إلى العزيز الخالق الذي تكفّل بإجابة دعاء المظلومين ولو كانوا كفاراً، وخذلان الظالمين ولو كانوا مسلمين، ولا قيمة عنده للكسالى والمتواكلين الذين يأكلون كما تأكل الأنعام.

وتوعد الله أعوان الظلمة والطغاة الذين رضوا أن يكونوا خدماً للظلم، ومنفذين لأوامر الظلمة.

بل إنّ هؤلاء يعتبرون من الظلمة أنفسهم كما قال الإمام

أحمد عندما سأله السجان وقال له: هل أكون من أعوان الظلمة الذين سيعاقبهم الله، وأنا ليس لي من الأمر سوى أني أحرس المسجونين، وأقوم على شؤونهم.

فقال له الإمام أحمد: لا أنت لست من أعوان الظلمة ولكنك من الظلمة أنفسهم، وإنما أعوان الظلمة هم أمثال الذين يخيطون لهم ثيابهم، أو يبيعون لهم طعاماً، والظلمة لا تطول مدتهم إلا إذا وجدوا لهم أعواناً، من السذج والجبناء الذين يبررون مسؤولية الجرائم التي يرتكبها أولئك ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُمُ النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ [سورة هود: ١١٣].

●●●

إنها دموع التماسيح

نجيب الله أمين رئيس النظام الشيوعي في أفغانستان ممثل رديء، وقف أمام الجماهير وهو يحمل مصحفاً ليقول إن رصاص المجاهدين قد أصاب هذا المصحف واخترقه، في محاولة منه لإثارة الشعب الأفغاني المسلم ضد المجاهدين، وليريهم حرصه على القرآن.

إنه منظر مضحك، كيف يصدق الناس أن المجاهدين هم الذين صوبوا رصاصهم إلى المصحف؟ والمجاهدون قاموا بالثورة من أجل القرآن.

وكيف يصدق الناس أن نجيب الله أمين يحرص على القرآن وهو الشيوعي، وقد جاء به إلى الحكم الملحدون الروس؟ إن الذنب العظيم والجرم الكبير في حق المصحف، وفي حق الإسلام هو الكفر به، ومن لا يعرف أن الشيوعية كفر وأنها إلحاد؟

وإن الشيوعيين أكفر من الكفار المشركين، الذين كانوا يقاتلون الرسول عليه الصلاة والسلام؛ بل إن كفرهم أعظم من كفر إبليس نفسه، لأن إبليس كفر ولكنه يؤمن بوجود الله، وكان كفره من حيث امتناعه عن السجود لآدم، ولم يمتثل لأمر

الله وقال محتجًا: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فهو يعترف بأن الله خلقه وأوجده، أما هؤلاء فيقولون إن الطبيعة هي التي خلقتهم، وأنكروا وجود الإله ـ تعالى ـ أصلاً.

إن الشيوعيين يحاولون اليوم أن يضللوا المسلمين، ولكنهم يخدعون أنفسهم إذا ظنوا بأنهم يخدعون أحداً بهذه المحاولات، فقد وضح كفرهم وإلحادهم.

وإن الناس يعرفون أن ما قام به نجيب الله من حمل المصحف، ورفعه أمام الجمهور إنما هو تمثيلية، وإن هذه الدموع التي يتظاهر أنه يذرفها على كتاب الله، إنما هي دموع التماسيح.

إن الإيمان بالله قد أخاف الروس أنفسهم، وإنهم الآن يشكون من تقلص الإلحاد بين الشباب، ولم تعد دعايتهم تجدي في محاربة الإيمان والإسلام، وليس أدل على ذلك مما جاء في جريدة برافدا السوفييتية ـ كما نشر في جريدة الراية القطرية بتاريخ ١٨/يناير سنة ١٩٨٧ م ـ: (لم يعد سرًا أن عدد المؤمنين يتزايد في بعض المناطق، ليس فقط الذين لا يعملون في القطاع الجماعي، ولكن أيضاً بين الشباب، وأشارت إلى زيادة نسبة التدين بين النساء، وعودة بعض الملحدين السابقين إلى الدين. وهاجمت الصحيفة الدين والمتدينين، وزعمت أن الدين الإسلامي هو المسؤول عن تخلف عدد من الدول الإسلامية، وزعمت أنه من

مخلفات الماضي، وطالبت بإعادة تخطيط الدعاية للإلحاد، وتغيير أسلوبها بشكل جذري).

إن الدول الإسلامية المتخلفة هي التي استجابت للأفكار الشيوعية، وقامت فيها أحزاب تبنت الماركسية، وما تسميه بالاشتراكية العلمية، فكانت هذه الأفكار هي السبب في تردي الأوضاع فيها، .وفي الصراعات بين أصحابها، وفي إهمال التنمية وتدمير الاقتصاد، فران عليها التخلف، وهم يسمون أنفسهم بالتقدميين، ولا ترى من تقدمهم إلا الشعارات التي يرفعونها، وتسمع جعجعة ولا ترى طحيناً، وإذا كانت الشيوعية تعني التقدم، فلماذا نرى الدول الغربية غير الشيوعية أكثر تقدماً من الدول الشيوعية؟

أما الدول الإسلامية فإن عدم تقدمها يرجع إلى زمن الانحطاط الفكري، الذي غفل فيه المسلمون عما يدعو إليه دينهم من الاهتمام بالعلم، وبمقدار ابتعادهم عن إرشادات دينهم كان تخلفهم، فالإسلام هو سبب تقدمهم فيما مضى، وبه أقاموا حضارة بعكس ما تزعمه برافدا، وفي هذا العصر نجد دولاً ــ في أفريقيا، وفي أمريكا اللاتينية ــ لا تعتنق الإسلام، وهي متخلفة جدًّا، وأشد تخلفاً من الدول الإسلامية التي تصفها برافدا بالتخلف، فما سبب هذا التخلف يا ترى؟ بل يلاحظ أنه عندما غزت بعضها الماركسية تعثرت في تقدمها بسبب ما خلفته الماركسية من صراعات

بين شعوبها.

إن الشيوعيين وجدوا أن الإسلام هو العقبة الكؤود أمام مطامعهم، ومحاولاتهم في تقويض القيم الإنسانية، ونشر الفوضى والكفر والإلحاد في المجتمعات الإسلامية، لذلك نراهم أشدّ حقداً على الإسلام وكلما حاولوا إخفاء هذا الحقد، وتضليل المسلمين بدعايتهم انكشفوا على حقيقتهم، بما تكتبه صحفهم، وما يظهره الواقع الذي يحاولون إخفاءه، ومهما حاولوا التضليل والمغالطة فإن الله يأبى إلا أن ينكشف المضللون والمغالطون، ويظهر دينه ويحفظه من محاولات أعدائه في طمسه والقضاء عليه، وجزى الله المجاهدين الأفغان خيراً، الذين وقفوا أمام محاولات الشيوعية العالمية في الإجهاز على الإسلام، وكشفوا مغالطاتها، وقدموا أرواحهم قرباناً في سبيل مجد الإسلام وعزته، وحفظ أوطان المسلمين.

●●●

لمـاذا التغييـر؟

قامت في روسيا ثـورة شيوعيـة سنة (١٩١٧ م) بقيـادة لينين، ثم خلف لينين ستالين الذي عُرف عهده بأنه موغل في الاستبداد والدكتاتورية والتعسف، ثم جاء بعده خروتشـوف وأدان تصرفات ستالين وغلوه في القهر والاستبداد، حتى نبش قبـره، وألقى بجثمانـه بعيـداً عن قبـر لينين، ثم أقصي خروتشوف وجاءت قيادات أخرى إلى أن وصلت القيادة الآن إلى جورباتشوف، كل قيادة تأتي تحاول أن تحدث تغييـراً تجاه التخلي التدريجي عن الماركسية واللينينية من غير إدانة لهما ولا للشيوعية بصورة عامة، ولكن واضح أن هذا يمثل إدانةً عمليةً للشيوعية، واعترافاً منهم ضمنيًـا بأن المجتمـع ليس في حاجة إلى هذا المذهب الساقط.

يـلاحظ أن الاتحـاد السـوفييتي الآن بـدأ يخـطو نحـو تغييرات مهمة، خاصة في بنيته الاقتصادية، والاقتصاد ــ كما هو معروف ــ هو محور الأيديولوجية الشيوعية، فـالشيوعيـة تنكر الملكية الفردية، ونرى الاتحاد السوفييتي الآن يعترف بـدور القـطاع الخـاص في التنميـة من خـلال مـا سمي (بيروسترويكا) وقد عارض هذه الخطة أشخاص من القيادة فـأزيحـوا من منـاصبهم بسبب معـارضتهم، وهؤلاء الـذين

عارضوا اعتبروا الاتجاه نحو التغيير خروجاً عن الماركسية، ووصفهم قادة التغيير بأنهم متحجرون وجامدون.

والصين التي قامت ثورتها الشيوعية سنة (١٩٤٩ م) بقيادة ماو تسي تونج، وقام فيها ما سمي بالثورة الثقافية سنة (١٩٥٨ م) حيث سيطر عليها من أسموهم عصابة الأربعة فتردت فيها الأوضاع الاقتصادية، ونقلوا ألوف العناصر المدربة والمثقفة إلى الريف، للعمل اليدوي في الحقول، وفي أعمال صغيرة بحجة إعادة تثقيفهم سياسيًا، وتنقية فكرهم وسلوكهم من الأمراض البرجوازية، وكان هدف هذه الثورة استعادة نقاء الحزب والفكر الماركسي، والقضاء على التحريفية، ومقاومة كل أشكال المهادنة، والرغبة في الاعتدال، والانفتاح على العالم الخارجي. والآن ماذا نرى؟

نرى اتجاهاً للتغيير نحو فتح الباب أمام الاستثمارات الأجنبية، والتبادل التجاري، ووضع حد لتركيز سلطة القرار في يد واحدة، ودفع النشاط الاقتصادي بإدخال عنصر المنافسة، والتراجع عن مبدأ [من كلٍّ حسب طاقته، ولكل حسب حاجته] إلى تقدير الجهد الذي يبذله الفرد، والاعتراف باقتصاديات السوق، واستخدامها في رفع مستوى الإنتاج، كما أدى الانفتاح على العالم إلى إرسال ما يقرب من ثلاثين ألفاً سنويًا من طلبة الجامعات والباحثين والخبراء لبعثات دراسية إلى أوروبا الغربية وأمريكا، وتستعين الصين

الآن بأكثر من خمسة آلاف ومائتي خبير أمريكي، يعملون في مختلف المجالات، ووقعت مع الولايات المتحدة سبعة وعشرين اتفاقاً علميًّا، تغطي أكثر من خمسمائة مجال، وتنقل الآن أساليب الإدارة الرأسمالية، وأدخلت نظام الأجر المركّب، الذي يفرّق بين المنتج وغير المنتج.

والخلاصة أن هناك تغييراً في الدول الشيوعية يعتبر تراجعاً عن الماركسية، ألا يعني هذا أن الماركسية غير صالحة لنهضة الشعوب وتقدمها، وأنها مغايرة للطبيعة البشرية، وأن القائمين عليها من القادة وأفراد الحزب عندما يندفعون يحملون لواءها بقوة وحماس سرعان ما يتحولون إلى بيروقراطيين يضعون العراقيل أمام تقدم الشعوب؟

إن روسيا والصين والدول الأوروبية الشرقية بما لها من رصيد كبير في الحضارة، ولإمكاناتها الضخمة أمكنها أن تحتفظ بمستوى معقول من التقدم، ولم يتفشّ فيها الفقر والفساد كما هو حاصل في الدول الأخرى في العالم الثالث، التي سارت على نهج الماركسية، أما هذه فأضيف إلى الماركسية فيها الجهل والغرور في القائمين عليها، فنزلت إلى الحضيض، وتوقفت النهضة فيها، وحل الفقر، وتحطمت نفسيات شعوبها، والنتيجة ما نراه اليوم من إفلاس في هذه الأنظمة، وصراعات على السلطة، والسحق والكبت والإرهاب. ونسأل الله أن يفرج كربة المكروبين.

لماذا يتراجعون عن الماركسية؟

أعلن الحزب الاشتراكي الياباني عن تخليه عن الماركسية التي تبناها لمدة أربعين سنة معترفاً بعد التجربة أن الماركسية ليست في مصلحة العمال اليابانيين، وأنه لا يمكن للحزب أن يقوم بدوره في قيادة الشعب الياباني إذا استمر في اعتناق الماركسية.

وقبل إعلان الحزب الياباني الاشتراكي كانت الصين ـ كما مر قبل قليل ـ قد تخلت عن كثير من المبادىء الماركسية. وقالت إحدى صحفها الكبرى في افتتاحيتها إن الماركسية قد تجاوزها الزمن، ولم تعد صالحة للصين، وإن أضرارها على الشعب الصيني أكثر من منفعتها.

لكن الملاحظ أن الماركسيين في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط رغم أنهم قد شعروا بإفلاس مبادئهم إلا أنهم لا يملكون الشجاعة التي يملكها غيرهم، فهم يكابرون ويعاندون بعدم إعلان إفلاس هذه المبادىء. ولكنهم عمليًا يتصرفون بما يتضمن الاعتراف بفشلهم وفشل مبادئهم، فبعد أن كانوا يقولون ـ أيام المد الثوري الماركسي في الستينيات ـ إنه لا بد وأن يقضى أولاً على الأنظمة المحافظة

في المنطقة التي يسمونها بالرجعية وأن طريق تحرير فلسطين هو إسقاط هذه الأنظمة وبعد أن قاموا بعمليات إرهابية في هذه الدول بقصد زعزعة الأمن فيها أصبحوا الآن يبحثون عن الدفء في أحضانها ولا يعيشون إلا على حسناتها. ويعتقد بعضهم أن تصرفاتهم إنما هي مناورات وتكتيكات مؤقتة حتى تحين لهم الفرصة للرجوع إلى ممارساتهم القديمة غير أني ألفت النظر إلى أن هناك نظرية يقولها علماء الاجتماع السياسي تسمى [نظرية التعب الثوري] تقول إنه عندما تتضخم المشاكل أمام الثوريين وتطول معاناتهم تتحطم معنويات زعمائهم، فيتملكهم اليأس، ويصابون بالإحباط، فلا يكون أمامهم سوى الذوبان، ودفن قضاياهم. ولكن يجب أن نتنبه أنه لا يوجد ـ مثل الماركسيين ـ من يحسنون الانتهازية، واللعب على الحبال، والتقلب في المواقف، فالماركسي لا يتورع أن يظهر بمظهر الحمل الوديع عندما يقتضي الموقف، وقد تراه يحجّ ويصلي ويؤدي مناسك العمرة ويكون كالوحش المفترس عندما تحين الفرصة فلا أخلاق ولا مروءة ولا إنسانية ولا رحمة، لأن المبدأ الثابت في الماركسية هو العنف الثوري الذي لا مكان فيه للعلاقات الإنسانية بين الأفراد، ولا مجال فيه لعدالة أو رحمة أو عرفان بالجميل؛ فالمبدأ عندهم هو تحطيم الرؤوس وإشاعة الفوضى الاجتماعية. وإن كلمات الرحمة والعدالة والحق والإنسانية والدين لا محل لها في قاموس الماركسية لأنها في

زعمهم من مخلفات عهود الإقطاع التي يجب إلغاؤهـا في المجتمعات الاشتراكية الجديدة لتحل محلهـا فقط مصلحة طبقة البروليتاريا (العمال) وهم يكذبون على العمال لأن أفراد الحزب الماركسي بعد أن تتم لهم السيطرة ويستـولوا على الحكم يكـونـون عصـابـة تستـأثـر بكـل الامتيـازات والمخصصات، ويصادرون كل الحريات الفردية.

لقد استغلت الشيوعية كراهية الشعوب للغرب، بسبب استعماره لها وتحكمه في مصيرهـا، ومواقفـه من قضايـاها وخاصة قضية فلسطين ـ حيث وقف مع اليهود وغـرس في جسم العالم العربي دولة إسرائيل ووقف إلى جانبها يؤيدها ويناصرها على ظلمها وتشريدها للشعب الفلسطيني وظهرت الشيوعية بمظهر المخلص للعرب من طغيان الغرب وظلمه وجبروته ـ غير أننا إذا لم نتنبه إلى نوايا الشيوعية، وتكتيكاتها الجديدة بعد تحالفها مع الغرب الرأسمالي سنكون ضحيـة لمصيبة أكبر وسنفقد أوطاننا وحرياتنا.

والـــذي يجب أن نعمله في هـذا المجـال من أجـل الاحتفاظ بحريتنا وأوطاننا وعدم تمكين خصومنا من السيطرة أن نكـون محايدين بيـن الشرق والغرب وأن يكـون لنا فكرنا المستقل. ولذلك فإني أناشد العرب الذين تبنوا الفكر الماركسي أن يعودوا إلى رشـدهم، وأن يعلنوا تخليهم عن هذا الفكر بعد أن تبين أن الماركسية داء وبيل على الشعوب،

وأنها ليست هي الطريق لتحرير فلسطين، وليست هي الطريق لتقدم الشعوب.

وإني واثق بأن بعضهم قد خدع بالماركسية عن حسن نية ورآها الطريق الصحيح لتحرير فلسطين وتقدم الشعوب فإلى هؤلاء بصورة خاصة أوجه ندائي وأقول: ليس للأمة مخلّص إلا الإسلام، ولن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

●●●

الإفلاس والرأسمالية أيضاً!!

في الفترة من ١٥/ ٢٠ يناير ١٩٨٦ م. عقد في نيويورك مؤتمر الاتحاد الدولي للكتّاب، حضره سبعمائة كاتب ومفكر من خمسٍ وأربعين دولة غربية وشرقية، ويقال إنه لأول مرة في التاريخ يجتمع هذا العدد الضخم من الكتّاب، وهو المؤتمر الثامن والأربعون منذ أسس الاتحاد الدولي للكتاب سنة ١٩٢١ م بلندن، وكما جاء في التقرير الذي نشر في الصحف العالمية، ونقلته بعض الصحف العربية، فإن الموضوع الذي ناقشه المؤتمر هو قضية (خيال الكاتب، وخيال الدولة)، وهو موضوع غامض كما يرى القارىء، لا يعلم المراد منه بالتحديد، ولكن الذي يهمنا هنا هو ما جاء على لسان الكتّاب والمفكرين، الذين يعتبرون شهود عيان على المجتمعات الرأسمالية والشيوعية.

فمما جاء على لسان **الكاتب الألماني جونتز جراس**: (إن حياتنا المعاصرة تتميز بفشل الأيدلوجية الحاكمة، وبإفلاس كل الوعود البراقة، التي منّتنا بها الحكومات، ولقد أصبح واضحاً الآن مدى الإرهاق والعنت الذي تعانيه الدولة الشيوعية داخل أسوار السجن الرهيب الذي حبست نفسها

فيه، رغم أنها لا تزال تحتفظ بقوتها المادية في تزايد مستمر، كما أصبح واضحاً من الجانب الآخر مدى ما تعانيه الرأسمالية المنهكة وهي تتخبط من أزمة إلى أزمة أخرى، إن أي إنسان لا يزال يعتقد أن أسلوب الحياة في أمريكا هو الأسلوب الأمثل، لا بد أن يكون إنساناً غبيًّا، أو منافقاً أو أعمى، حتى يتغابى عن الفقر المدقع الذي يطحن بعض أحياء أمريكا، والمجاعة التي تهدد العالم) ويقول هاين مولر وهو كاتب من ألمانيا الشرقية: (إن الحلم الأمريكي يبدو بعيداً عن الواقع مثل الحلم الشيوعي تماماً، أنتم تؤمنون بالمال، ونحن نؤمن بالمذهب، ولذا فإن كلينا يرزح تحت حلم ثقيل).

وقال: (إن أسلوب الحياة في أمريكا يشبه الرسوم المتحركة الملونة، ولهذا فإن الجمهور الأمريكي يستجيب فقط للصور المثيرة، ولا تهزه الكلمة الجادة الهادئة)، وقد أيده في ذلك الروائي الأمريكي الشهير آرثر ميللر، الذي قال عن الفن الأمريكي: (إنه صور ممسوخة للحياة والموت ولا صلة له بالواقع)، وقال: (إن الصورة التي يعكسها التليفزيون الأمريكي للحياة تتسم بالتفاهة والسطحية، والتبسيط الموغل في السذاجة).

وقالت نادين جورد يمر من جنوب أفريقيا: (إن فكرة خلق نظام اجتماعي يحكم البشر نبتت أول مرة في خيال كتاب العصر

القديم، ولكن ما فعلته الحكومات لتنفيذ هذه الفكرة المثالية، مجاله أحداث التاريخ لا الخيال، فالخيال معدوم تماماً في أشكال الحكم السائد اليوم في الشرق والغرب، وخاصة في بلادها جنوب أفريقيا التي تحاول أن تبتدع نظاماً ديمقراطيًّا فريداً، لا تملك فيه الأغلبية حق التصويت، وهذا ما يدخل في باب الوهم لا الخيال).

ويقول كاتب آخر من المجر (إن الدولة كثيراً ما تجد نفسها سجينة الكراهية الناتجة عن التعصب، والأيدلوجيات والمذاهب الجامدة).

ويقول كاتب آخر (إن الدولة لا تستطيع إلا أن تتخيل وضعاً صحيحاً مزدهراً بصفة دائمة، ذلك لأن خيالها تسيره إرادات آلاف الموظفين، الذين يديرون دفتها، ومن مصلحتهم ـ حماية لوظائفهم ـ إعطاء صورة مشرقة).

وهناك ملاحظة جديرة بالتسجيل، ولفت النظر إليها وهي تتعلق بمساواة المرأة بالرجل، فعلى الرغم من أن الغرب والشرق متفقان على عدم التفرقة بين الرجل والمرأة، إلا أن طبيعة الأشياء أحياناً تفرض نفسها، ويتبين وجه الحق من غير قصد، ومع هذا يكون الإصرار على الخطأ.

فقد لاحظت إحدى العضوات في المؤتمر أن نصف مندوبي المؤتمر من النساء، ومع ذلك لم يختر منهن

للاشتراك في حلقات النقاش سوى عشرين كاتبة فقط، من بين مائة وأربعين مشتركة، فاحتجت على ذلك، فكان الرد من ناحيتين، أولاً: تخلف عدد من المدعوات، وثانياً: أن الرجال يختلفون عن النساء في أنهم مفكرون أولاً وشعراء وروائيون ثانياً، ولهذا كان من الطبيعي أن يكون عددهم أكبر في حلقات النقاش الفكري، فقامت النساء بثورة لم يسكتها إلا القول بأنه لا يقصد بهذا الرد اتهام النساء بالقصور الفكري، أو عدم القدرة على نقاش القضايا الفكرية.

إن بأيدي المسلمين نظاماً مثاليًّا لكنهم عاجزون أن ينهضوا به، فقد تخلوا عنه باستسلامهم لحياة البذخ والترف في قصور الأندلس وبغداد، فسلبت منهم قيادة البشرية، وأصبحوا الآن بسلوكهم المعوج لا يقتدى بهم. ﴿ذلك بأن اللَّهَ لم يكُ مغيّراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾. ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركُم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ صدق الله العظيم.

●●●

لهذا فشلت الماركسية

الواقع أن الماركسية كانت تحمل أسباب فشلها في طياتها، ويقال إن ماركس حين لبس نظارته معكوسة رأى العالم كله قد انقلب دون أن ينقلب، وما كان لها من رواج عند الذين اعتنقوها إنما يعود إلى أسباب تتعلق بنفسياتهم، إذ غالبهم ممن لهم ظروف تحملهم على التمرد على القيم، فهم ليسوا من أسوياء السلوك والنفوس والنزعات والرغبات؛ لذلك تجاوبوا مع هذا المذهب الذي يتفق مع الرغبات الكامنة في نفوسهم، وهي رغبات شخصية بحتة يتمثل معظمها في الرغبة في الانتقام من المجتمع.

ومن يقرأ تاريخ ماركس ولينين يجد صحة هذا القول، أما الأسوياء الذين ينظرون إلى الأمور بمنظار المصلحة العامة، وميزان العقل، ولم تسيطر على تفكيرهم عقد نفسية خاصة فلم يقبلوا على الفكر الماركسي، ورفضوه بمجرد أن عرفوا ما يحتويه من تناقضات، وما يتضمنه من مصادمة مع الفطرة الإنسانية، وما يثيره من أحقاد وفتن في المجتمع، فالماركسية تقول إن الإنسان مجرد من كل فضيلة، وإنه مسير بصورة طبيعية إلى شهواته، وأن الدافع الاقتصادي هو الدافع الوحيد وراء كل ما يجري في هذا الكون، وإن الناس من

بداية الخليقة كانوا يتقاسمون بينهم حاجـاتهم المعيشية ثم ساد القوي على الضعيف، والغني على الفقير، وأن عليهم أن يرجعوا إلى الأصل أي ما قبل التاريخ حتى تكون الطبيعة هي التي تنظم الحياة، فعندها لا يحتاج الناس إلى دولة أو نظام، وهذا هو الهدف النهائي للشيوعية كما يقولون.

وهنا يأتي سؤال: إن الماركسيين يقولـون إنهم يسعون إلى التقـدم، ويسمـون أنفسهم تقـدميين، ويـطلقـون على غيرهم اسم الرجعيين، فكيف ينسجم ذلك مع دعوة الشيوعية إلى الرجوع إلى الأصل؟

ويقولون إن الاشتراكية ما هي إلا مرحلة إلى الشيوعية وإن الشيـوعية معنـاها عـودة الإنسان إلى حيـاته الأولى في المشاركة التامة بين البشر في كل شيء، أليس هذا يناقض قـولهم إنهم تقدميـون وهم يريـدون إرجاع الإنسـانيـة إلى الوراء.

وللإنصاف نقول إننا لم نعد نسمع الآن كلمات الرجعية والتقدمية منهم مع هذه التغيرات التي تحدث في المعاقل الشيوعية العتيدة.

يقـوم الفكـر المـاركسي على أصلين الأول المـاديـة، والثاني الديالكتيك، ويعبر عنهما بالمادية الجدلية فالمـادية تعني في الفكر الماركسي: عدم الاعتراف بالروح؛ ولذلك

جـاء التناقض بين المـاركسية والأديـان، وجاءت تفسيـرات الماركسيين عن ظهور الأديان مختلفة حسب رؤية كل فريق منهم لأثر الدين في البيئة، وقال بعضهم إن الدين من اختراع الأغنياء ليسيطروا على الضعفاء، ومن هنا جاءت مقولة لينين (الدين أفيون الشعوب) وقال بعضهم الآخر: بل هو من صنع الفقـراء حيث لم يستـطيعـوا التغلب على الأغنيـاء فتسلوا بالدين، فهـو من صنع الفقـراء، وبعضهم قال إنـه ظاهـرة اقتضتها الظروف الاقتصادية فهو ثورة الفقراء على الأغنياء في مرحلة معينة من التاريخ، فهو من صنع الطبيعة.

ويفسر الماركسيون ظهور الدين الإسلامي بـأن العرب أرادوا أن يقـووا مركـزهم التجـاري بين الشعـوب الأخـرى فابتدعوا الإسلام، فتـطور المدنيـة حملهم على ذلك، وأن الضعفاء في مكة أرادوا الثورة على الأغنياء فاعتنقوا الإسلام، وأن الفقراء تسلوا به والأغنياء تسلطوا بسببه، فعامل ظهـور الإسلام هو تطور المدنية عندهم.

نقول لهم: إنه لو كان الأمر كما تزعمون فلماذا لم يظهر الإسلام في اليمن لأنه أكثر تحضراً ومدنية من الحجاز؟

وإذا كـان يحقق مطامـع الأغنياء فلمـاذا عارضـوا تلك المعارضة الشديدة؟

وإذا كان ثورة الفقراء فكيف أبقى على الملكية الفردية؟ وعدم اعتراف الماركسيين بالإله ــ سبحانه ــ والأديان أوقعهم

في مشاكل مع الشعوب لا حدود لها، لأن ذلك يناقض الفطرة، فقد زعموا أن العقيدة بالإله نشأت من ضعف البشر، فإذا جهلوا شيئاً نسبوه إلى الله، وإذا ضعفوا عن مواجهة نكبة توسلوا به، وإذا خافوا لاذوا به لذلك يجب ألا يؤمن أحد برب في نظرهم، وللرد على هؤلاء نقول كما يقول الأستاذ عباس العقاد: أليس اليوم يعيش الكثيرون من البشر أنواعاً من الضعف والجهل والخوف؟ والواقع أن الإيمان بالله هو الذي يدفع المؤمنين إلى تخطي حواجز الخوف، واقتحام العقبات.

والديالكتيك ـ الذي هو الأصل الثاني للفكر الماركسي، والذي تبنته الماركسية من منطق هيجل ـ خلاصته: أن كل شيء يتغير، وكل شيء يرتبط بعضه ببعض، وكل شيء يحمل نقيضه، ولكل شيء انقلاب مفاجىء.

وهذا إن صح في عالم المادة والمحسوس فلا يصح في عالم المعاني والمجردات كالعلم والعدالة والحق، فإذا علمت بأنك موجود فهل يتغير علمك؟ وإذا علمت أن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة، فهل يتغير ذلك في يوم من الأيام؟ وهل تصبح صفات الصدق والعدل والحق أموراً قبيحة في يوم من الأيام؟

وأما أن كل شيء يحمل نقيضه فذلك من أوهام

الماركسيين، فهل الوجود والعدم يجتمعان؟ إذا قلنا إن القمر موجود هل نقول إنه مفقود أيضاً في لحظة واحدة؟! أما الانقلاب المفاجىء فإذا سلمنا به فإنه ليس معقولاً أن يكون بدون سبب، وعدم معرفتنا للسبب لا يعني أن الانقلاب مفاجىء، فإذا رأينا تبخر الماء عرفنا السبب لهذا التبخر حيث إن زيادة الحرارة تؤثر على زيادة التبخر حتى يفقد الماء كل برودته فينقلب بخاراً؛ حتى لو جهلنا تلك الحرارة.

والقضية الكبرى التي أصابت الماركسية في مقتل هي قضية الاقتصاد، حيث إن النظرية الماركسية أرادت أن تقضي على الظلم الواقع على العمال بحجة أن قيمة السلعة السوقية هي بالذات أجر العامل، وأنه كلما كان أجر العامل أقل من القيمة السوقية للسلعة كان الفرق في جيب صاحب العمل، لذلك فلا بد من القضاء على صاحب العمل وجعله واحداً من العمال، ولأن العمال لا يمكنهم مباشرة التنظيم والتوجيه فلا بد من قيادة حزب يمثلهم وهو الحزب الشيوعي.

فقام أعضاء الحزب بالنيابة عن العمال وأصبحوا هم صاحب العمل، باعتبارهم يمثلون الدولة ونتيجة لذلك ألغيت الملكية الفردية، وأصبح أعضاء الحزب هم المتصرفين، وهم الذين يستأثرون بالامتيازات، ولأن شخصية الفرد قد سحقت وأذيبت فلم يعد هناك حماس عند العمال للعمل، وأصبح كل مسؤول يتقاضى راتباً من أموال الشعب، ولم يعد

هناك صاحب عمل يفكر ويخطط وينظم لرفع مستوى العمل، بل هناك أشخاص عندهم مطامع، وعندهم نزعة الاستئثار؛ فالدولة عندما تملك كل شيء تتيح الفرصة لأصحاب الضمائر الميتة أن يسرقوا ويرتشوا ويفسدوا الحياة الاقتصادية.

وعندما يقول ماركس إن الثورات في العالم نتيجة للتناقض الطبقي فإن ذلك أمر يكذبه الواقع وها نحن الآن نشاهد كل الطبقات تنقض على الأنظمة الماركسية التي تسمى حكمها حكم الطبقة العاملة.

إن الصراع لا يأتي بين الطبقات إلا إذا كان الحكم مبنيًّا على الظلم، وتسلط أناس عن طريق العسف والجبروت، فيكون هناك صراع بين الظالمين وأعوانهم من المرتزقة والمنافقين من جهة، وبين المظلومين من جهة أخرى، حتى يسقط الظلم ودولته، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة.

وكون الناس مختلفين في أرزاقهم حسب جدهم وكدهم وكفاءاتهم ومواهبهم لا يؤدي إلى صراع إذا قام ميزان العدل بينهم، فلا يمكن القوي أن يطغى على الضعيف، مستنداً إلى قوته وسلطانه، ولا يحتكر الأغنياء أرزاق الناس، وأعطي العامل أجره الذي يستحقه، ولم تتغلب المحسوبيات، ولم تهدر الحقوق والحريات، أما إذا اختل ميزان العدل، فطغى القوي على الضعيف فإن لكل فعل ردّ فعل مماثلاً له في القوة

ومضادًا له في الاتجاه كما يقول المنطق العلمي عند علماء الميكانيكا، فأعضاء الحزب الشيوعي تحكموا في رقاب الناس وأموالهم، واستأثروا بالامتيازات، ومن حاول أن يبين لهم خطأ النهج الذي يسيرون عليه سموه ثورة مضادة، ونكلوا به وعذبوه وأعدموه، والسجون والمعتقلات في البلاد الشيوعية أكثر من المدارس، فمصادرة الحريات، وأكل أموال الناس بالباطل، ومصادمة الفطرة، ومحاربة الأديان، كل ذلك كان سبباً في انهيار الأنظمة الشيوعية، وفشل الماركسية وسقوطها، ولذلك فنحن نرى التغييرات الآن على أشدها في الاتحاد السوفييتي بعد سبعين سنة من قيام الحكم الشيوعي، وفي أوروبا الشرقية بعد أربعين سنة، وتراجعت الشيوعية من نصف الطريق بعد أن كانوا يقولون إن ما حققوه من الشيوعية ما هو إلا خطوات أولى في طريق الشيوعية، وإذا كنا نرى الشيوعيين يتساقطون الآن كأوراق الخريف فإننا نأسى لموقف الماركسيين العرب الذين لا يريدون أن يعترفوا بهزيمة الماركسية، ويتشبثون بها.

فهل آن لهم أن يعودوا إلى رشدهم؟!!

●●●

ولهـذا هزمـت!

بني الفكر الماركسي على قاعدتين أساسيتين أولاهما الإلحاد، بمعنى إنكار ورفض كل ما وراء الطبيعة وبالتالي إنكار وجود الله، والكفر بالأديان والروحانيات، واتخاذ موقف مناوىء لها.

ثانياً: عدم الاعتراف بالملكية الخاصة، واعتبار كل شيء ملكاً للدولة، التي تعتبر دولة العمال (البروليتاريا) الذين يمثلهم الحزب الشيوعي، ويتبع ذلك أن تصادر الأملاك والحريات، ويفرض حكم استبدادي صارم متعسف بحجة حماية مكاسب العمال والكادحين، هاتان القاعدتان اللتان بني عليهما الفكر الماركسي ترتب عليهما التصادم مع الفطرة الإنسانية، فالتدين فطرة في الإنسان مهما يكن الدين الذي يعتنقه، والبشرية مذ وجدت تؤمن بما وراء الطبيعة، وأن هناك إلٰهاً، وإن اختلفت في تصور هذا الإلٰه، وتباينت عقائدها فيه، وكذلك الملكية.

وحب التملك فطرة في الإنسان مركوزة فيه، ولذلك ترى الطفل يتشبث بما يقع في يده، ولا يتخلى عنه باعتباره حقه وملكه، ويبكي عندما تحاول انتزاعه منه، وعندما يصطدم

مذهب من المذاهب بالفطرة الإنسانية، ويحاول أصحاب هذا المذهب الاعتماد على القوة في فرضه على البشرية تبقى هناك مقاومات نفسية داخلية حتى في أنفس القائمين على هذا المذهب، الذين يحاولون فرضه، هذه المقاومات الداخلية أشبه برفض جسم المريض لكل الأجسام الغريبة التي لا تناسبه، ولا تنسجم معه، فأنت ترى المريض الذي تلفت كليته مثلاً عندما يحاولون علاجه بكلية أخرى يرفض جسمه تقبل الكلية الجديدة التي لا تناسبه، باعتبارها جسماً غريباً، لا تلبث أن يرفضها جسمه، وإذا لم يُحاول الأطباء البحث عن عضو آخر أو علاج يناسب الجسم استمر المرض، وقد يودي بحياة المريض وينهيها.

فكذلك الماركسية هي جسم غريب بالنسبة للمجتمعات البشرية، ولذلك نرى هذا التراجع والتخلي عنها في معاقلها، لأنها لا تتفق مع فطرة النفس البشرية، فقد فرضها على الشعوب من هيمنوا على الحكم من الماركسيين الثوريين، الذين استغلوا الثورات الوطنية، وركبوا موجاتها حتى تمكنوا بالخداع والغدر، والمساعدات الخارجية من السيطرة على القيادة، والتخلص من الوطنيين، وفرضوا مذهبهم بالحديد والنار، وأمعنوا في اضطهاد شعوبهم، وغرروا بطبقة العمال وأوهموهم أن في الماركسية إنصافاً لهم من ظالميهم، وأن أملاك الإقطاعيين والبرجوازيين ستؤول إليهم، وستتحسن

أحوالهم المعيشية، وسيكون بيدهم زمام الأمور، باعتبار أن الحكم هو حكم الطبقة العاملة، ولكن بعد أن تم للماركسيين الأمر، وسيطروا على الحكم، فقد العمال حريتهم في اختيار العمل، وفي تحديد أجورهم، وفي حق الاحتجاج على أي أمر من الأمور وأصبح المتمتعون بالامتيازات هم قادة الحزب الشيوعي فقط، بعد أن صادروا الملكيات، وخنقوا الحريات، ولم يعد أحد ينبس ببنت شفة، فقد توسعت السجون والمعتقلات، وانتشر الجواسيس ورجال المباحث والمخابرات في كل موقع، وأقيمت محاكم خاصة قلَّ أن تصدر أحكامها بغير الإعدام، إلى جانب أولئك الذين يجهز عليهم في السجون والمعتقلات، فيلاقون حتفهم تحت التعذيب، أو يعدمون بدون محاكمة.

وجماهير الشعب تلهث وراء لقمة العيش التي أصبحت بيد المسؤولين في الحزب، إمعاناً في إذلال الناس الذين يقفون طوابير أمام مراكز التموين التي لا تكون عادة في الدول الأخرى إلا في حالة المجاعة والحرب، وأصبح هم كل إنسان أن يفوز برغيف خبز، أو نصف كيلو سكر، من هذه المراكز، وإذا تذكر العمال ـ الذين يعيشون فيما يُزعَمُ أنه جنتهم ـ الحال التي كانوا عليها قبل الثورة التي سميت باسمهم تأسفوا عليها، وتمنوا العودة إلى ما كانوا عليه، وكأن لسان حالهم يردد قول الشاعر:

رب يـوم ٍ بكيت فيه فلمـا صرت في غيره بكيت عليـه

وقول الآخر:

وبُدِّلت قرحاً دامياً بعد صحةٍ فيا لك من نُعمى تحولْنَ أبؤسا

وإذا كان التراجع عن الماركسية قد أتى الآن على يد قادتها، بعد أن تغلبت الفطرة الإنسانية كما هو متوقع على الفكر الذي يصادمها، فـلا بد أن نـلاحظ ما كـانت تدعيـه النـظريـة المـاركسيـة من حتميـة انتصـارهـا، وتعميمهـا عـلى الشعوب، مما يدل على زيفها، وكذب نبوءات مؤسسيهـا، وهكذا ينكشف الأنبياء المزيفون.

أمـا الأنبياء الصـادقون المؤيـدون بروح القـدس، فقد صدقت نبوءاتهم، صـدق محمد بن عبـد الله عليه الصـلاة والسلام عندما تنبأ ببلوغ هذا الدين مـا بلغ الليل والنهـار، وعندما تنبأ بفتح القسطنطينية وقد فتحت كما قال، أما ماركس فقد تنبأ أن تقـوم الثورة الشيـوعية في بـريطانيـا فقامت في روسيا، وتتعرض الآن للانحسار قبل أن تصل إلى غـايتها، وهي تدحر الآن في أفغانستان بقـوة الروح الإسـلامية، ومـا يدرينا أن تدحر أيضـاً من المناطق الإسـلامية في الاتحـاد السوفييتي(١)، التي نرى الآن علامات التحفز بها للتخلص من

(*) وقد تحققت هذه النبوءة واهتزت الماركسية في معقلها العتيد وتحولت روسيا نحو اقتصاد السوق وانفتحت على الغرب طالبةً الإسعاف.

رق الشيوعية.

وهناك أناس من العرب اعتنقوا الماركسية بقصد فرضها على الشعوب العربية، وأراد بعضهم أن يخلطها بالقومية ليسهل هضمها، ويضلل بها الأمة العربية والإسلامية ولكن انكشفت ألاعيبهم، وفشلت مخططاتهم، وها هم يجرون أذيال الخيبة، ويتوارون في الجحور، وبعضهم يحاول أن يغير جلده، ويخفي الملامح القبيحة التي عرف بها، ويجهد نفسه في صبغ جسمه بألوان زاهية، ليخرج من جحره لعله يجد لنفسه مكاناً لائقاً، ولكن سرعان ما يظهر التزييف، وتصبح تلك الألوان باهتة، فينفر الناس منها، ويفرون منه فرارهم من المجذوم.

•••

كيف تتسلل الشيوعية إلى الأوطان ثم تدمرها؟

لن نحاول أن نسرد تاريخ الشيوعية منذ ظهورها في كثير من البلدان. ولكن نكتفي بمثال واحد هو أفغانستان، أفغانستان دولة ملكية محايدة منذ مئات السنين، لم تستطع بريطانيا أن تستعمرها حين كانت تستعمر القارة الهندية بأسرها، على الرغم مما بذلته من محاولات، ولم تستطع روسيا المجاورة لها أن تسيطر عليها، أو على أي جزء منها، على الرغم مما بذلته أيضاً من محاولات حتى بدأت أفغانستان تقيم علاقات حميمة مع الاتحاد السوفييتي، وتلقت منه مساعدات، وأرسلت بعض طلابها لتلقي العلم في جامعاته، ثم توثقت العلاقات أيضاً في عهد رئيس الوزراء محمد داوود، وعقدت دورات تدريبية للموظفين وضباط الجيش والشرطة في الاتحاد السوفييتي، وتعاون محمد داوود مع العناصر التي كانت تدرس هناك، والذين تشبعوا بالأفكار الشيوعية، وتحت ستار الانفتاح على كل التيارات تغلغل الشيوعيون في الجيش والشرطة والجامعة، ثم بعد ذلك نفخوا في محمد داوود، وشجعوه ليكون رئيساً للجمهورية، وهذه هي عادة الشيوعيين، لأن من أساليبهم أن

يـأتوا إلى الشخصيـات المتطلعـة إلى السلطة فيـرفعـوهـا، والشخص المغـرور، المفتون بـالسلطة، لا يفكر في شيء غيرها، ولا يتأكد من القاعدة التي يـرتكز عليهـا، فقام محمـد داوود ــ بمساعدة الشيوعيين ــ بانقلاب على صهره الملك محمد ظاهر شاه، الذي وثق فيه، وأطلق له حرية الاتصال بـالشيوعيـين، وتقريبهم من السلطة وفجـأة نظر محمـد داوود فوجد نفسه كالبالون المعلق في الهـواء، فأراد أن يصحـح الوضع، وأن يقيم علاقات قوية مع الدول الإسلامية، فزار المملكة العربية السعودية، وعندما عاد مباشرة قام الشيوعيون بانقلابهم عليه، فهاجموا قصره، وقتلوا جميع أفراد أسرته، وأقاربه وأصـدقاءه أمـام عينيه، ثم قتلوه وداسـوا على جثته قائلين (هذا مصيرك يا رجعي، يا عفن).

ثم بـدأ مسلسل الانقـلابـات والصـراع الـدمـوي بين الشيوعيين أنفسهم، فبعد أن خلف الشيوعي محمد تـراقي محـمـد داوود فـي الســلطة، جـاء حــفــيـظ الله أمــين ومجموعته فأطاحـوا بمحمد تـراقي وقتلوه، ثم جاء بـابراك كارمل الذي كان في الاتحاد السوفييتي وهو من جماعة محمد تراقي، وقد جاء به السوفييت، لأنهم رأوا في حفيظ الله أمين تطرفاً قد يفسد عليهم خـططهم، ولا يحسن السير بسفينـة الشيـوعية في أفغـانستان، فقتلوه وتعهـدوا لبابـراك كـارمـل بحمايته، وحماية النظام الشيوعي الذي سيكون على رأسه، فدخلت الجيوش السوفييتية إلى أفغانستان، عنـدما رأوا أن

الشعب لا يقبل الحكم الشيوعي في بلاده، وقام بمقاومته فقام الروس بمضاعفة المجازر التي أقامها الشيوعيون الأفغان، وقد بلغ القتلى الآن أكثر من مليون ونصف، ولا يزال الشعب الأفغاني المسلم يقاتل من أجل إخراج الجيوش الحمراء. ففي الشعب الأفغاني رجال أشداء مجاهدون، نذروا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، ليحرروا وطنهم، ويرفعوا راية الإسلام على ربوع أفغانستان، تلك الراية التي رفعها أول من رفعها في أفغانستان محمد بن القاسم الثقفي رحمه الله، ومع الأسف فإن من العرب اليوم من يريدون لهذه الراية أن تذل وأن تسقط، ويناصرون الشيوعيين على إسقاطها وإذلالها بحجج واهية، وينسون أن أفغانستان هي بوابة الخليج والجزيرة العربية، وأن المجاهدين إنما يمثلون سدًّا يصد عنهم السيل الجارف.

وبعض الناس يقولون: ما لنا ولأفغانستان، وهذه القدس أهم من أفغانستان، وإذا افترضنا حسن النية في هذا القول فهو يدل على سذاجة وعدم فهم، لأن هذا معناه أن نعلق كل شيء على تحرير القدس، ونحن نعلم أن طريق تحرير القدس، هو وحدة العرب أولاً، وخاصة دول المواجهة مع إسرائيل، فهل توحدت هذه الدول وهل قامت بواجبها نحو تحرير القدس وأعلنوا الجهاد لتحريرها؟

ونحن على ثقة إن أول من سيلبي دعوة الجهاد لتحرير

القدس هم المجاهدون الأفغان، لأنهم يؤمنون بأن القدس هي قدسهم أيضاً، لا قدس العرب وحدهم، وربما كان إخلاصهم في تحرير القدس أكثر من بعض العرب، الذين يتشدقون بالتحرير، وليس للقدس مكانة في قلوبهم.

إن عقيدة الإسلام تفرض على المسلمين ألا يقبلوا أي أجنبي يحتل بلادهم، وإن بلاد المسلمين واحدة وإن على المسلم أن يدافع عن كل بلد إسلامي، خاصة إذا كان البلد فيه مقدسات المسلمين كالقدس، ولذلك فإن كل من يؤمن بالإسلام مكلف بتحرير القدس، ولكن الأعداء غرسوا فينا من الأفكار المنافية للدين ما جعلنا لقمة سائغة في أفواه أعدائنا، فاحتلوا بلادنا واحدة بعد الأخرى، وأذلونا بمختلف الوسائل وأفلحنا فقط في محاربة بعضنا بعضاً، ومع ذلك نردد شعارات الوحدة والتضامن، والصمود والكفاح المسلح وأصبح الكفاح يعني أن نكافح بعضنا بعضاً، ويهلك بعضنا بعضاً، وكل ذلك بسبب بعدنا عن منهج الحق ﴿قل هو القادرُ على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبِسكُم شيعاً ويذيقَ بعضكُم بأس بعض انظر كيف نصرِّفُ الآيات لعلهم يفقهون﴾.

●●●

الماركسيون في العالم الثالث

هـرب عدد من المسؤولين الأثيـوبيين من بينهم وزيـر الخارجية، وأعلن الوزير المذكور بعد أن وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية أنه لم يعد يتحمل الأوضاع الفاسدة، وغير الإنسانية التي تعيشها بلاده في ظل الحكم الماركسي، الذي كان هو أحد أركانه، وتبادل الهاربون التهم مع زملائهم الذين لا يزالون في الحكم، وعلى رأسهم هيلا مريام، كلٌ يتهم الآخر بسرقة المساعدات التي تأتي من الخارج لإنقاذ الشعب الإثيوبي من المجاعة، ومسألة المجاعـة هذه يستغـرب لها الإنسان في بلد مثل الحبشة، التي تعتبر أخصب بلاد القرن الأفـريقي، وكـانت تمـد الـدول بمنتجـاتهـا أيـام الحكم الاستعماري، وحكم هيلاسلاسي، وهو حكم لا شك فاسد، ولكن جاء الشيوعيون الذين قالوا إنهم سيقضون على الفساد، فكانوا أكثر فساداً.

وإذا كـانوا يقـولون في مقـدمة دستـورهم: (إن النظام الإقطاعي السابق ترك الفلاحين يتعرضون للجوع والمرض، والموت الجماعي، بسبب نهب أموالهم وثمرات أعمالهم) فإن الواقع يقول أنه لم تمر على أثيوبيا حالة أسوأ من الحال

التي هي عليها الآن في ظل الحكم الماركسي، فالفلاحون يتعرضون للجوع والمرض، والموت الجماعي، ولم يسبق أن مر بهم ما هو أسوأ من هذا الوضع لا في عهد الإيطاليين، ولا في عهد هيلاسلاسي، على الرغم من الفساد الذي كان في عهده.

إنهم يسرقون حتى المساعدات التي يرسلها المتصدقون، والاختلاف على توزيع المساعدات أصبح من أهم أسباب الصراع بين الحكام في بلدان العالم الثالث التي يحكمها الماركسيون، وقد كانوا يمَنُّون شعوبهم بمجتمع الرفاهية، والعدل، والمساواة، ورفع مستوى الطبقة الكادحة، وإقامة الصناعات الثقيلة والخفيفة، وطلبوا من شعوبهم أن يشدوا الأحزمة على البطون، فشدت الشعوب الأحزمة، ومرت الأعوام بعد الأعوام وأحزمة الشعوب مشدودة على بطونها، بينما أحزمة الحكام مطلقة، فكبرت بطونهم وكروشهم ومشاهدة ذلك عياناً أكبر برهان، وليس الخبر كالعيان، والذي لا يصدق يذهب إلى هناك ليرى أفراداً كالأشباح في الشوارع من سوء التغذية والمرض، بينما أعضاء الحزب كالعجول السمينة في مكاتبهم الفخمة، وقد استأثروا بالفواكه والبيض، واللحوم والحليب، وكل أنواع المأكولات، ومع هذا يرددون شعارات العفة والطهارة والإخلاص للشعب، كان الحكام السابقون الذين يسمونهم

رجعيين يستعدون لسنوات الجفاف، بتخزين الأغذية، حتى لا يجوع الشعب، أما هؤلاء الذين يتهمون غيرهم بالاتكالية والاعتماد على الغيبيات، فقد أصبح شعارهم أنفق ما في الجيب يأتِك ما في الغيب، ويتقاتلون على الذي في الجيب، وكل يأخذ نصيبه حتى لا يبقى للشعب إلا الفتات.

وإذا اشتد الخلاف بينهم على المكاسب والمناصب، احتكموا إلى السلاح، وهرب الخاسر إلى الدول الرأسمالية والرجعية، أما الدول الاشتراكية التي كان يزورها في كل وقت وحين، ويشيد بصداقتها، ويتفانى في حبه لها، وعزمه على تحطيم أعدائها، فلا يذهب إليها، لأنه لن يجد فيها لقمة العيش، كما أنه يخشى أن يسلموه إلى عدوه باعتباره خائناً، لذلك فهو يضطر للعيش في كنف من كان يسميهم الرجعيين، ويعتبرهم أعداءه الطبقيين، وكم شاهدنا من الناس مَنْ كانوا يصولون ويجولون ويقتلون ويضربون ويسجنون ويعذبون، ويعتبرون كل الحكومات غير الحكومات الشيوعية حكومات فاسدة يجب التخلص منها، والقضاء عليها، يعيشون الآن كالخفافيش، في ظل هذه الحكومات التي يعتبرونها فاسدة، وبعضهم استطاع أن يغير جلده، ويتلون بلون الإناء الذي هو فيه، وكأنه ليس ذلك الرجل الثوري، الذي أرغى وأزبد وتوعد.

ولا غرابة في ذلك فإن فلسفتهم تقوم على أن الغاية تبرر

الوسيلة فإذا واتتهم الفرصة فإن أول من يجهزون عليه هو الذي كان يؤويهم، ويمد إليهم يد العون والمساعدة لأنه ليس في قاموسهم نخوة ولا شهامة، ولا معروف ولا مروءة، ولا أخلاق ولا دين، فإن الواحد منهم يبادر إلى قطع اليد التي كان عليه أن يقبلها، وكم شاهدنا من المظلومين من سجنوا وعذبوا وقتلوا على يد أبنائهم وتلاميذهم، لأن مذهب الماركسيين قائم على الحقد حتى على أولياء نعمتهم، فكل غني عدوهم، وكل عالم دين عدوهم، وكل صاحب مكانة وجاه عدوهم، حتى لو لم يظلم أحداً، ولم يضر أحداً، باعتبار أن هؤلاء أعداء الشعب الطبقيين كما يسمونهم، فالأخلاق لا قيمة لها عندهم.

يقول ماركس: (ينبغي أن نحطّم قيود الأخلاق، فهي قيد يعوق التطور، وقد تقيدنا بها في الماضي في المجتمع الزراعي، فينبغي أن نطرحها اليوم في المجتمع الصناعي المتطور).

ويرى أنجلز أن المفاسد الخلقية، والرذائل من أمثال السرقة، والظلم والتسلط والكذب، أمور ضرورية لحركة التاريخ من أجل تكامل المجتمع الإنساني.

ويأتي الماركسيون في العالم الثالث ليطبقوا أسوأ ما في الماركسية حتى تجاوزوا الحد، وحتى زايدوا على الدول الماركسية الأصيلة، فزعموا أنهم يطبقون الماركسية على

وجهها الصحيح أكثر من روسيا ورومانيا والصين.

وعندما تقول المادة (٦) من الدستور الاثيوبي:

(حزب عمال أثيوبيا الذي يسترشد بالماركسية اللينينية، هو الحزب الطليعي الذي يناضل لخدمة الشعب وحماية مصالحه) نتساءل: أين هو النضال لخدمة الشعب وحماية مصالحه؟

هل هو الصراع على المساعدات، والمواد الغذائية التي تأتي من الدول الغنية والإمبريالية على وجه الخصوص؟

وهل حماية مصالح الشعب هو إنفاق الملايين من الدولارات على احتفالات الثورة وذكرى استيلاء الشيوعيين على الحكم، بينما الشعب يموت من الجوع؟

وإذا عنّ لك أن تتجول في أسواق أي بلد يسيطر عليه الماركسيون فستجد صعوبة في الحصول على علبة حليب لطفلك، ولكنك ستجد الأسواق مغمورة بالبيرة والخمر.

وإذا أجرى الماركسيون الانتخابات، أنفقوا فيها الأموال الكثيرة، مع أنها لا تأتي بجديد، والنتيجة معروفة مقدماً، فلا ينتخبون إلا الذين هم في السلطة.

والعاقل يتساءل ما فائدة هذه الانتخابات؟
فالماركسيون في العالم الثالث قد أجرموا في حق

شعـــوبهم، وأدخلوهـا في دوامــة الصـــراع بين الأجنحـــة المختلفة، وزادوها فقـراً وتخلفاً، وهـذه حقيقة لا ينكـرها أحد، ومع ذلك فإن هناك في مجتمعاتنا من يدافع عن هذه الأنظمة الباغية، ولكِ الله يا شعوب العالم الثالث.

●●●

هذه هي الثورية

طبيعة الثورات أنها تأكل أبناءها، فإذا نظرنا إلى تاريخ الثورات ابتداءًا من الثورة الفرنسية إلى الثورات التي تقوم الآن في العالم الثالث، فسوف نجد أن الثورة تتحول إلى صراع على السلطة والمناصب، فتشتعل أتون الحروب الأهلية لتقضي على الأخضر واليابس، ويذوق الشعب الذي تقوم من أجله الثورة الأمرّين، ويصبح هَم الثوار الحكم فقط، ولو على أشلاء أهليهم، وتصبح الشعوب هي الخاسرة في الثورة، فيخذل الشعب أمام طغيان السلطة، وتهدر حقوق المواطنين، وتفسد الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويكون هناك اضطراب في الأمن، وإهدار للحق والعدالة، نتيجة للأهواء والخصومات والأنانية الهائجة، وتتفجر الأحقاد والضغائن.

وليس هناك اعتراض على الثورة إذا كانت تعني التحرر من التبعية والاستعمار، وتعني النشاط في برامج التنمية والإصلاح، والتغلب على الرتابة الإدارية والروتين، والسرعة في تنفيذ البرامج، وإقامة مشاريع اقتصادية واجتماعية، وتخطيط سياسات جريئة في مختلف الميادين، فالثورة في حد ذاتها ليست هدفاً، وإنما هي وسيلة، فلا يمكن أن تصلح

نظاماً وأسلوباً للحياة يعيش الناس دائماً بموجبه.

والشعوب ترفض الثورات التي تسفك الدماء، وتعتدي على حريات المواطنين، وتصادر ممتلكاتهم ويكون المواطن مملوكاً للحكومة بسيطرتها على لقمة عيشه، فكل شيء بيدها من رغيف الخبز إلى المسكن، ولا يجد عملاً إلا عند الحكومة، والحكومة هي التنظيم الثوري الذي يتحكم أعضاؤه في رقاب الناس، لا رأي إلا رأيهم، ولا كفاءة إلا كفاءتهم، الأمي يكون رئيساً على العالم المثقف، وخريج الابتدائية يتحكم في مصير الجامعي، والذي لا يحمل إلا شهادة الميلاد يقود الذي يحمل شهادة الماجستير والدكتوراه.

وقد لاحظ الاتحاد السوفييتي ـ وهو راعي الثورية في العالم، والأم الرؤوم لها ـ النقص في ثقافة الثوريين في العالم الثالث، فأقام لهم معاهد للعلوم الاشتراكية التي تدرس النظرية الماركسية بأصولها وفروعها، وأقام لهم جامعة في موسكو تسمى جامعة(لوممبا) وخريجو المعاهد الاشتراكية وجامعة لوممبا لا يعرفون شيئاً غير حفظ أقوال ماركس، وخطب لينين عن ظهر قلب ولا يتكلمون إلا في هذا الإطار، ويرددون كلمات لا يعرف لها معنى عند المتكلم وعند السامع.

والثوريون يدعون أنهم الوحيدون المخلصون لوطنهم، وأن الآخرين جميعهم خونة وعملاء، وينسون أنهم هم الذين

يتعاملون مع المخابرات في الدول التي يرتبطون بها، وإذا حكموا قطراً من الأقطار كان الذين يوجهونهم هم رجال المخابرات في الدولة التي يوالونها، ويسمحون لتلك الدولة أن تتدخل في شؤونهم الداخلية، وسفير تلك الدولة هو الحاكم الفعلي في البلاد، وهم يسخرون إمكانات شعوبهم ومقدراتها من أجل معارك لا ناقة لشعوبهم فيها ولا جمل. والناس الذين يختلفون معهم في الرأي هم ثورة مضادة، يجب القضاء عليها عن طريق ما يسمى في عرفهم (العنف الثوري) فالتصفية الدموية والاغتيالات من المبادىء المعترف بها في الأنظمة الثورية.

والثوريون إذا اختلفوا في وجهات النظر لم يرجعوا إلى قانون أو عرف، بل الرأي المعتبر هو رأي الأقوى مركزاً في الحزب، وإذا استوت القوة استمر الخلاف واحتكموا إلى السلاح ــ فهو الفيصل وهو الحكم ــ فدمروا المؤسسات، وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ.

●●●

اشتراكيـة تيتـو

قرر البرلمان اليوغسلافي الموافقة على اقتراح الحكومة بالاستيلاء على جميع ممتلكات الجنرال جوزيف بروز تيتو، رئيس جمهورية يوغسلافيا السابق، الذي توفي قبل سنوات، وهذه الممتلكات تشتمل على:

١ ــ قصور وفيللات في مختلف مقاطعات يوغسلافيا.

٢ ــ عشرين استراحة خاصة في بلغراد وزغرب ودوبانافتش وعدد من المدن اليوغسلافية.

٣ ــ القصر الأبيض في بريوني وما يتبعه من عربات وخيول.

٤ ــ مائة قطعة من الحلى أغلبها من الماس تقدر بمئات الآلاف من الجنيهات.

٥ ــ عدة سيارات روزرويس وكاديلاك وشيفروليه.

٦ ــ خمسة لنشات بحرية.

٧ ــ سجاجيد وأطقم كريستال نادرة تقدر بالعشرات.

٨ ــ أثاث فخم ولوحات فنية وأسلحة قديمة.

٩ ــ مكتبة ضخمة ومجموعة طوابع قديمة.

١٠ ــ مستحقاته لدى دور النشر لثلاثين كتاباً.

١١ ـ الهدايا القيمة التي تلقاها الزعيم في رحلاته الخارجية.

وقد تقدمت الزوجة الأخيرة من زوجاته الثلاث جوفانا، تطالب بأحقيتها في تركة الزعيم، واستعانت بمذكرات قانونية عن طريق محاميها الخاص، وقد منعت الحكومة الزوجة المذكورة من السفر، ويقال إن سبب المنع هو عدم تمكينها من التصرف في حسابات سرية في الخارج باسم الرئيس تيتو.

الزعماء الشيوعيون والثوريون يدّعون أنهم لا يملكون إلا مرتباتهم التي يتقاضونها مثل غيرهم، وأن طهارتهم الثورية فوق الشبهات، والواقع أنهم ملكوا أكثر مما يملكه الملوك والسلاطين، وترفهوا أكثر مما يترفه الرأسماليون، والفرق أن الرأسماليين يترفهون من أموالهم، وهؤلاء يترفهون على حساب شعوبهم الفقيرة، فهم يشبعون غرائزهم، وينكرون على غيرهم ذلك.

وإذا كان لبريجينيف الحق أن يولع باقتناء أحدث الطرز من أفخم السيارات المستوردة من الغرب فإنه لا يحق لغيره أن يملك سيارة واحدة، وزعماء الحزب فقط هم الذين لهم الحق في مشاركته في إشباع غرائزهم والترفيه عن أنفسهم، ولذلك يتحول الثوار إلى مترفين مترهلين متفسخين برجوازيين، وهي نفس الأوصاف التي يطلقونها على من

سبقهم من الحكام، لقد خدعوا الناس بشعارات النزاهة والطهارة الثورية، والانحياز للجماهير الكادحة، حتى إذا تمكنوا من الهيمنة على كل مرافق الحياة، سخروها لأغراضهم الشخصية، ونسوا كل شعارات النقاء الثوري والعدل الاجتماعي!!

يقول منشور سري صدر في موسكو (إن أجر العامل في الاتحاد السوفييتي لا يزيد على ثلث ما يجب أن يكون عليه أجر العامل الحقيقي، وأين تنفق هذه الأموال؟ ينفقها رجال الكرملين على حياتهم المترفة، وعلى بيوتهم الريفية المكيفة، وعلى سيارات الليموزين الفخمة، وعلى استراحاتهم الخاصة، ومستشفياتهم الخاصة، إنهم يعيشون في مستوى أرفع بكثير عن مستوى القياصرة).

ويقول منشور آخر: (لماذا يأتي الشعب السوفييتي في حساب درجة المعيشة في الدرجة السادسة والعشرين بين شعوب العالم؟ ولماذا يتقاضى العامل في الغرب أضعاف ما يتقاضاه العامل الروسي؟).

وقد تفشى الفساد والرشوة والاختلاس، والسوق السوداء في مجتمعات الشيوعية، على الرغم أنها تحكم بالإعدام في الجرائم الاقتصادية، وبعض السلع لا يستطيع المواطن العادي الحصول عليها، بينما يحصل عليها المحظوظون من أبناء الطبقة العليا بطريقة رسمية ومشروعة، ومن محلات

البيع المخصصة لهم، وفي المجتمعات الشيوعية ينتشر الجواسيس والمخبرون فيتجسس الابن على أبيه، والأخ على أخيه.

والثوري الحقيقي في عرفهم هو الذي يقوى على أن يبلغ عن أبيه أنه يسب الحكومة أو الحزب، أو يتناول أحد الزعماء، فيفاجأ الشخص بزوار الفجر يقتادونه، وينزلون به أشد العقاب ضرباً وركلاً، ثم يرمونه معتقلاً قد فقد الوعي وأثخنته الجراح.

والغريب أن الأحداث كل يوم تثبت لنا زيف تلك الشعارات، وتقيم الأدلة والبراهين على سوء تلك التوجهات، وقد فطن زعماء الشيوعية في العالم إلى أن شيوعيتهم مرفوضة في العالم الإسلامي، وأنهم فشلوا في إقناع الجماهير بها، لأنها دعوة إلحادية تحارب الدين، فأوحوا إلى عملائهم أن يغيروا الأسلوب الذي يسيرون عليه في نشر الشيوعية، ووجدوا أن في التاريخ الإسلامي حركات مبكرة تقترب في مبادئها من الشيوعية، كحركة القرامطة والمرتدين، فأرادوا أن يحيوها بالإشادة بها، وذلك ما نراه اليوم في أدبيات الشيوعيين في المنطقة، فهم يصفون مثلاً مدعي النبوة الأسود العنسي أنه ثائر عربي، أراد أن يمنع سيطرة عرب الشمال على عرب الجنوب، ويشيدون بعلي بن الفضل القرمطي، الذي أباح لجنوده انتهاك أعراض العذارى المسلمات، وأعلن

الكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرب المساجد، وادعى النبوة، وأحل لأصحابه شرب الخمر، ونكاح البنات والأخوات، وكان يقول على المنبر قصيدة كلها كفر ومنها:

تولى نبي بني هاشم وجاء نبيٌّ بني يعرب

إن التقدم لبلاد العرب لن يأتي عن طريق الكفر، ولا عن طريق الاشتراكية والشيوعية، وإنما يأتي عن طريق الإبداع في التخطيط الاقتصادي، فيستميل كل الطاقات، ويسخر كل موارد المجتمع البشرية والمادية، ولا يأتي التقدم على يد السطحيين والمراهقين، ومهما حاول الشيوعيون أن يضللوا، وأن يعيثوا فساداً، فإن المسلمين لن يرضوا للإسلام بديلاً والله غالب على أمرهم ﴿ولو كره الكافرون﴾.

●●●

عمر بن الخطّاب ماركسيًّا

كونت حكومة أفغانستان الشيوعية منظمة تجمع رؤساء القبائل أسمتها: «منظمة الدفاع عن أرض الأسلاف». والشيوعيون الذين يتشدقون بأنهم ضد القبلية والطائفية لا يتورعون أن يستخدموا كل وسيلة لتحقيق أغراضهم، لأن من مبادئهم أن الغاية تبرر الوسيلة، فهم يهدفون من تجميع رؤساء القبائل الذين همهم الجاه والمال أن يستخدموهم فقط في مواجهة المجاهدين الذين أقضوا مضاجع حكّام كابول عملاء روسيا، وزعزعوا الثقة في الجيش الأحمر الروسي والشيوعيون يقومون بذلك في نطاق ما يسمونه (استراتيجية المرحلة) فإذا حققوا غرضهم من رؤساء القبائل سيحطمون جماجمهم وقد يدفنونهم أحياء باعتبارهم إقطاعيين ورجعيين كما حصل لإخوان لهم في بلاد أخرى نكبت بالشيوعية.

وليس بخافٍ أن الشيوعيين في البلاد الإسلامية فشلوا في الدعوة إلى الشيوعية لأن الإسلام يقف كالطود الأشم أمام دعوتهم، فرفضت الشعوب الإسلامية الشيوعية لأنها تعتمد على الإلحاد والكفر بالأديان.

فشعر الشيوعيون المحليون بالحرج لعدم استطاعتهم القيام بالدعوة إلى منهجهم الماركسي بين المسلمين. ولما رأى ذلك أساطين الشيوعية الدولية في الكرملين أوحوا إلى أتباعهم في البلاد الإسلامية بأنه لا مانع أن يقوم الشيوعيون بمراعاة الظروف وبعدم الافصاح بكل المبادىء الشيوعية وألا يظهروا الإلحاد والكفر بالأديان، بل ولا مانع أن يقوم الشيوعيون بممارسة بعض الطقوس والشعائر الدينية أمام الشعوب، ولذلك نرى أحياناً بعض الشيوعيين يؤدون الصلاة وخاصة صلاة الجمعة أو صلاة العيد، وقد يحضرون الاحتفالات الدينية التي تقيمها الطرق الصوفية بل يشجعونها كما يشجعون إقامة موالد الأولياء. واقتصروا في دعايتهم على الناحية الاقتصادية ورأوا أنه في الإمكان أن تعمل الشيوعية من خلال الإسلام فيستغلون مبادىء العدالة فيه وما جرى في تاريخ المسلمين من صراعات فيوظفون كل ذلك من أجل الدعوة إلى الشيوعية بكل هدوء.

ووزع المثقفون الأدوار بينهم من أجل تحقيق هدف الشيوعية الدولية في بلاد الإسلام، فاتجهوا إلى الدراسات الإسلامية فتناول بعضهم الجانب الاجتماعي، وبعضهم جانب الحكم والسياسة، وبعضهم الجانب التاريخي، فظهرت كتب وأبحاث تحمل فكراً ماديًا بحتاً مغلفاً بغلاف الإسلام، فظهر ما يسمى باليسار الإسلامي، وهو كما قال

الدكتور مصطفى محمود نوع من التلبيس الساذج، ومحاولة ركوب الإسلام وتطويعه للأغراض المادية الجدلية ومكائدها، ومحاولة لاصطياد الشباب الإسلامي المتحمس الجاهل إلى شراك العصبة اليسارية، فهم يريدون من وراء هذه الدراسات أن يوهموا الناس بأن ما قام به نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام وما قام به عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم لا يختلف عن الخط الذي مشى عليه ماركس ولينين وأنجلز وكاسترو. وبعضهم ذهب إلى دراسة الحركات الباطنية وثورات القرامطة والزنج ومدعي النبوة كالأسود العنسي فأظهروا هذه الحركات كانتفاضات اشتراكية مبكرة من جانب الكادحين ضد الإقطاع السياسي والاجتماعي.

لقد كسدت بضاعتهم ولم يعودوا قادرين على ترويج فلسفتهم فتمسحوا بالتاريخ الإسلامي ولبسوا الأقنعة، متنكرين بثوب الإسلام ولكن هيهات هيهات فقد انكشفت ألاعيبهم وأكاذيبهم ولم يعد هذا الزيف وهذا الخداع ينطلي على الناس.

إن المسلمين لا ينسون ما كانوا يكتبونه في الخمسينيات والستينيات، ولم ينسوا دفاعهم عن الدكتاتورية الشيوعية في روسيا وبلغاريا والمجر والثورة الثقافية في الصين. وطالما وصفوا في كتاباتهم دول الخليج والسعودية والكويت بالرجعية

والإقطاعية ونراهم الآن ينعمون بخيرات هذه الدول، وأصبحت أجهزة الإعلام فيها مرتعاً خصباً لهم، وتعانق الروبل والدولار في أرصدتهم بالبنوك.

ونحن لا نريد أن نسد الباب في وجه من أراد أن يعود إلى الجادة، ويتخلى عن الشيوعية، ولكننا نريد أن تكون العودة صادقة ومخلصة ولن تكون كذلك إلا إذا أعلنوا إدانتهم للشيوعية وفكرها، ورجعوا عن كل ما كتبوه من ترويج للأفكار الساقطة بكتابات صريحة، وأدانوا ما يقوم به الروس في أفغانستان من تقتيل واضطهاد للشعب الأفغاني المسلم، والتزموا بالإسلام سلوكاً وفكراً.

عند ذلك نقول إنهم تابوا توبة نصوحاً. والله هو التواب الرحيم.

•••

المنجل والصليب والعرب

كل الناس يعرفون أن الشيوعية العالمية والصليبية يدعمان جون جرنج وعصابته في جنوبي السودان، فمجلس الكنائس العالمي، والقوى الاستعمارية في الغرب تؤيد جرنج على الرغم من ماركسيته، فيقف الشيوعيون الملحدون والمسيحيون وزعماء الكنائس أعداء الشيوعية في صف واحد، إذا كان الطرف المقابل هو العروبة والإسلام، فالحرب الدائرة في الجنوب هدفها تقطيع أوصال السودان وتمزيقه، والإجهاز على الإسلام فيه، وهم يعرفون أن سكان الجنوب ليسوا كلهم مسيحيين، ففيهم مسلمون وأغلبهم وثنيون، والوثنيون يقبلون على الدخول في الإسلام، وهم يريدون أن يمنعوا دخول الوثنيين فيه، ويقيموا دولة مستقلة في جنوب السودان يحكمها خريجو الإرساليات المسيحية، وتقف حائلاً بين العرب والأفارقة، فالحقد الشيوعي الصليبي على الإسلام هو الذي وحد الشيوعيين والاستعماريين في مواجهة الحكومة الوطنية.

كان المخدوعون يقولون إن سبب الحرب هو قوانين الشريعة الإسلامية في الشمال، وبعض المغفلين يقولون الآن

إن استمرار الحرب هو محاولة القضاء على الديمقراطية، وهم يعلمون أن التمرد في الجنوب والحرب الأهلية قامت بعد استقلال السودان مباشرة بفعل المؤامرات الاستعمارية والمؤسسات الكنسية، والقوانين الشرعية التي تسمى قوانين سبتمبر التي صدرت في عهد نميري قد أوقف العمل بها، ولكن الحرب لم تتوقف، بل اشتد أوارها، على الرغم من تجاوب حكومة السودان مع كثير من مطالب المتمردين، والآن قد بلغ التحالف الشيوعي الصليبي قمته، عندما اشتركت قوات كوبية وإثيوبية في الهجوم على مدينة الكرمك السودانية الواقعة على الحدود بين إثيوبيا والسودان، كانوا يقولون: إذا زال حكم نميري ستعود العلاقات الطيبة بين إثيوبيا والسودان، وذلك لأن إثيوبيا كانت تحتضن المعارضة التي تطالب بالحكم الديمقراطي، فزال حكم نميري، وتسلمت المعارضة الحكم، ومع ذلك لم تغير إثيوبيا من خطتها في محاربة السودان.

والمغفلون هم الذين لا يريدون أن يفهموا أن إثيوبيا طرف أساسي في الحرب على السودان، حتى لو لم تكن هناك ثورة في أريتريا على حدودها مع السودان، فالحبشة قاعدة للاستعمار الصليبي من قديم، وانضم إلى هذه القاعدة الآن قواعد للشيوعيين، فهم يعملون جميعاً في تناسق تام من أجل هدف واحد هو تمزيق السودان وإضعافه، حتى لا يكون

له دور عربي وإسلامي في القارة الإفريقية، فلا يستغرب أن يتحد المنجل والصليب في هذا الهدف، إذ كل شيء فيه ضرر للإسلام والمسلمين، وإضعاف للعرب فإننا نرى الشرق والغرب وأهل اليمين وأهل اليسار في اتفاق عليه، فهذه القضية الفلسطينية أصبحنا نحفظ أرقام القرارات التي صدرت في مجلس الأمن بإدانة إسرائيل وإلزامها بالانسحاب من الأراضي العربية، ولو أرادت الدولتان الكبيرتان بل لو أرادت واحدة منهما ووضعت كل ثقلها لانسحبت.

وهذه الحرب العراقية الإيرانية التي بدأنا نحفظ الرقم الأول من قرارات مجلس الأمن عنها ونردده صباحاً ومساءً، ولو أرادت الدولتان أو إحداهما تنفيذه لنفذ فوراً، وقد رأينا أن أمريكا عندما أرادت أن تزال الصواريخ من كوبا استجابت كوبا وروسيا لطلبها حالاً، وكلما قامت حرب بين إسرائيل والعرب سارعوا إلى إيقافها بعد أن تنتصر إسرائيل خشية استمرار الحرب فتعود الكرة على إسرائيل، لأنهم يعرفون أنهم إذا تركوا إسرائيل بمفردها ستذوب في البحر العربي، وستصبح أثراً بعد عين، ويجب ألا يغيب عن بالنا ما اتفق عليه ريجان وجورباتشوف في جنيف عام ١٩٨٥ م. ويعتبر أهم قرار اتفقا عليه، والذي طرحه الأمريكيون وهو هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل، والتي تؤكد المصادر من ناحية العدد والأهمية أنها تمثل الخروج الثاني بعد خروج اليهود من

مصر زمن موسى عليه السلام، وأغرب ما تم الاتفاق عليه هو ما نشرته مجلة تايم الأمريكية في عددها الصادر بتاريخ ٣٠/١٢/٨٥م عن شحن هؤلاء اليهود إلى إسرائيل وتسليمهم يداً بيد للحكومة الإسرائيلية دون إعطائهم حق اختيار البلد الذي يهاجرون إليه، أو حق الإفلات من المشروع الاستيطاني الصهيوني.

وقالت المجلة إن هذا التنظيم يقصد به منع تسرب أي مهاجر يهودي لبلد غير إسرائيل، وقد تبرعت فرنسا بالطائرات التي ستكون جسراً جويًّا لشحن اليهود من روسيا إلى إسرائيل (من الباب إلى الباب) على حد تعبير الكاتب جلال كشك، وقد جرت المفاوضات لهذه الصفقة قبل مؤتمر جنيف، بل كشرط له بواسطة (ادينمار برونزمان) رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، الذي نقل إلى الروس تصريح شيمون بيريز: (إن مصلحة روسيا ومصلحة إسرائيل هو قصر هجرة اليهود الروس على إسرائيل، وتحقيقاً لذلك فقد اتفق على إقامة جسر جوي بين روسيا وإسرائيل عبر بولندا).

وهذا ما تسميه أمريكا دائماً بحقوق الإنسان، الذي تتفاوض مع روسيا عليه، فهل هذه هي حقوق الإنسان فعلاً؟

أما لبنان فأصدق ما قيل فيه هو ما نشرته جريدة الأهرام في كلمة لأحد كتابها:

(هناك تساؤلات ما نوع هذه الحرب؟

وما سببها؟

وهل هي مجرد صراع سياسي أو حرب طائفية؟

وتجيء الإجابة أن الحرب الدائـرة في لبنان هي ميني حرب عالمية ثالثة.

بمعنى أن معظم الدول الأساسية في العـالم لها ضلع فيهـا، فالـولايات المتحـدة لها ضلع، وروسيـا لهـا ضلع، وبعض الدول الثورية لها ضلع، وإسرائيل لها ضلع، وكل الضالعين في هـذه الحرب يمـدون الجماعـات المتصارعـة بـالمـال والسلاح، ولو أن هذه الحرب كانت بأموال لبنانية، وأسلحة لبنانية لما أمكنها أن تستمر أكثر من أيام قليلة، أسبوعـاً أو أسبوعين أو ثلاثة أسابيع على الأكثر).

وهكذا فنحن الضحية دائماً.

●●●

الإسلام بين المنجل والصليب

يتعرض الإسلام والمسلمون في أفريقيا وآسيا لضغوط ومؤامرات، تشترك فيها الشيوعية والكنيسة معاً، إذ لا يجمع الكنيسة والشيوعية شيء غير محاربتهما للإسلام، وعداوتهما للمسلمين، ففي جنوب السودان يتعاون الشيوعيون والمبشرون النصارى على محاربة الإسلام، فهذا جون قرنق الماركسي يقود حرباً شعواء ضد الإسلام والمسلمين، مدعومة من الشيوعيين ومجلس الكنائس العالمي، وآخر ما قام به أن هاجم رجاله مستشفىً للأطفال فقتلوا الأطفال والأطباء المسلمين في جوبا، وقد حصلت جريدة المسلمون التي تصدر في لندن أخيراً على وثيقة خطيرة قدمها عملاء الصليبية إلى الحكومة الإقليمية في جنوبي السودان تعلن بدء العمل لإفساد أي محاولة للتعريب، ونشر الدعوة الإسلامية، وقّعها كل من الأسقف الىناتانو لامو رئيس أساقفة الكنيسة الأسقفية البروتستانتية السودانية بمدينة جوبا، والأسقف باولو لينو كوكود رئيس الأساقفة الكاثوليك بجوبا.

تحث هذه الوثيقة على مواجهة ما تسميه الخطر الإسلامي الذي بدأ التحرك بهدف تعريب وأسلمة افريقيا،

وجاء في الوثيقة أن السودان جزء من وسط أفريقيا، وبما أن شمال السودان قد تم تعريبه وأسلمته، فإن جنوب السودان قد أصبح هدفاً للتعريب والأسلمة، وتحذر الوثيقة من منظمات الإغاثة الإسلامية، وخاصة منظمة الدعوة الإسلامية، والمعروف أن جنوبي السودان ليس أهله كلهم مسيحيين، بل أكثرهم وثنيون، وبعضهم مسلمون وبعضهم نصارى، ويريد النصارى أن يعتبروا الجنوب كله مسيحيًّا، ويؤيدهم في ذلك الشيوعيون السودانيون، والشيوعيون الأثيوبيون.

وفي تنزانيا هاجمت ميليشيا (السنفو سنفو) التي أنشأها جوليوس نيريري قرية بوزاغار المسلمة، وأمروا أهل القرية بالجلوس في العراء لمدة أربع وعشرين ساعة، ليقدموا العبادة للشمس، ومزقوا نسخ القرآن الكريم، مع أن المسلمين في تنزانيا أكثر من سبعين في المائة، ولكن التآمر الشيوعي الصليبي على الإسلام والمسلمين هو الذي جعلهم بهذا الضعف، إذ كثير من أبناء المسلمين قد اعتنق الشيوعية وأصبحوا أداة في يد الكنيسة والشيوعية الدولية على حد سواء، وقد يأخذك العجب إذا عرفت أن عدد الطلاب المسلمين في جامعة دار السلام لا يتجاوزون مائة طالب من مجموع الطلبة البالغ عددهم ثلاثة آلاف طالب!!

وقد نشط الشيوعيون والمنصرون أخيراً لمحاربة الإسلام بتبني النشء الجديد من الأطفال، فعدد المعاهد التعليمية

التابعة للكنيسة في أفريقيا عشرون ألف معهد، والمدارس اللاهوتية أكثر من خمسمائة مدرسة، ورياض الأطفال أكثر من مائتي روضة، ولعل الناس لن ينسوا ما نشر قبل ثلاث سنوات أن قسيساً بلجيكيًا قد تبنى أكثر من ثلاثين ألف طالب من الصومال المسلمين.

أما في آسيا فلا يخفى ما تقوم به الدوائر الكنيسية، في كل من إندونيسيا وماليزيا وتايلاند وبنجلاديش وبورما، ففي إندونيسيا التي يبلغ المسلمون فيها تسعين بالمائة تملك الكنيسة طائرات ومطارات خاصة، أما الشيوعيون فانطلاقاً من نظرية لينين التي تقول (من يملك الشباب يملك المستقبل)، فقد ركزوا على الأطفال من سن الثانية عشر إلى الثامنة عشرة، فأخذوا من أطفال العرب من منطقة الشرق الأوسط أعداداً كبيرة إلى كوبا، وخصصت لهم جزيرة هناك تسمى جزيرة الشباب، يلقونهم المبادىء الماركسية.

أما في أفغانستان فقد غادرت مطار كابول طائرات محملة بالأولاد في طريقها إلى الاتحاد السوفييتي لتمضية عشر سنوات هناك، ليعودوا كوادر للنظام الشيوعي الأفغاني، وتقضي الخطة التي نشرت في بعض الصحف أن الحملة تستوعب سنويًا خمسة وعشرين ألف شاب، لتطبيع أفكار الجيل الصاعد، وألغي تعليم الدين الإسلامي في المدارس، وأصبحت المدارس الثانوية في كابول مراكز لتجنيد الشباب

من قبل (الخاد) وهو البوليس السري في النظام، وفي كمبوديا ـ التي دخل الإسلام فيها في القرن الخامس عشر ويبلغ عدد المسلمين فيها خمسمائة وخمسين ألفاً ـ حول الشيوعيون المساجد إلى حظائر للخنازير، وقتلوا شيخ الإسلام هناك، الشيخ عبد الله إدريس، وكل خريجي الأزهر من أبناء كمبوديا، وأجبروا المسلمات على التزوج من الشيوعيين والبوذيين، ومنعوا المسلمين من الصلاة وأداء الشعائر الدينية، وطردوا بعضهم من قراهم، حتى ماتوا وهم في طريقهم إلى ماليزيا، وحرقوا الكتب الإسلامية والمصاحف، أما في بورما فإن الحكومة البورمية العنصرية ـ بالتعاون مع قوى البغي العالمية ـ قد منعت المسلمين من أداء فريضة الحج، ولا تسمح للموظفين المسلمين بأداء صلاة الجمعة، وألغت الدراسة الإسلامية في المدارس، وصادرت الكتب والنشرات الإسلامية، كما صادرت البيوت والعقارات الموقوفة على المساجد، وقامت قواتها المسلحة بعملية طرد جماعية لعشرات الآلاف من رعاياها المسلمين مع نسائهم وأطفالهم.

وقد قامت رابطة العالم الإسلامي برفع شكواهم إلى المحافل الدولية ولكن بدون جدوى، وفي الهند يتعرض المسلمون للذبح كل يوم بأيدي الهندوس، فما حدث في مدينة أحمد أباد من قتل للمسلمين وما حدث للبهاريين المسلمين ويحدث دائماً ليس بخافٍ على أحد.

والخلاصة أن كل ملل الكفر قد تآمرت على الإسلام والمسلمين، فالشيوعيون وعباد البقر وعباد الأحجار واليهود والصليبيون، كأنهم عقدوا اتفاقاً غير معلن بينهم على محاربة الإسلام، فملة الكفر واحدة، إن من بين المسلمين ومع الأسف من يشاركون في هذه الحرب غير المعلنة على الإسلام بغفلتهم وعدم وعيهم، وأصبح الإسلام اليوم بين فكي الكماشة، أو قل بين المطرقة والسندان، اللذين يمثلهما المنجل والصليب، ونحن لا نملك إلا أن ننبه المسلمين إلى الأخطار المحدقة بدينهم وأوطانهم، فإذا لم يفيقوا من غفلتهم، ويعملوا على وحدة صفوفهم، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل دينهم فستجتث جذورهم وإن بقوا على قيد الحياة، فسيكونون في أوطانهم مواطنين من الدرجة الرابعة، ويومئذٍ سيعضون أصابع الندم.

وقد جعل الله سبب الانتصار الوقوف إلى جانب الحق، ومناصرة المستضعفين، ورفع راية الدين، وحماية بيضته، ودفع الباطل ومقاومة أهله، وأذن الله للمستضعفين بالقتال، لدفع الظلم عن أنفسهم، وأمرهم ألا يستسلموا للظالمين، وقد تكفل بنصرهم على أعدائهم إن هم أخلصوا لربهم. قال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتَلُون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلا أن يقولوا ربنا الله، لولا دَفْعُ اللَّهِ الناسَ بعضَهم ببعض لهُدِّمت

صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكر فيها اسم الله كثيـراً، ولَيَنصُرَنَّ اللَّهُ من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج : ٣٩ ـ ٤٠].

●●●

كيف نواجه الخطر

لا ريب أننا نواجه خطراً من الصهيونية والاستعمار والشيوعية على حد سواء، والمؤمنون الصادقون لا يدخلهم الفزع والرعب من تراكم الأخطار وتعددها، بل يواجهونها بكل ثبات ويقظة وحكمة، ويتوكلون على الله في سبيل الجهاد المخلص فيزدادون اعتصاماً به تعالى: ﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعُوا لكم فاخشُوهم فزادهم إيماناً وقالوا حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل﴾ ولا يمنعنا إسلامنا من أن نستثمر تنافس القوى المتصارعة لمصلحتنا، وأن نضرب مصالح عدو بمصالح عدو آخر، ولا شك أن ذلك ليس بالأمر الهين، ولكنه يتطلب دراية بالأمور، وحنكة، ومرونة في العمل.

ولا بد من استغلال مواردنا الطبيعية وتوجيه استثماراتنا التوجيه الصحيح، والأخذ بأسباب العلم والتقنية حتى نستطيع أن نبني صناعة كبرى. كما يمكننا أن نوحد صفوفنا، ونعد العدة للدفاع عن أوطاننا، ونحفظ شبابنا من أن يقع تحت تأثير الأفكار الهدامة، فالشباب هم عدة المستقبل، وهم درع الأوطان، وهم أداة التغيير والتأثير، فإذا نحن لم نوجههم ولم نبصِّرْهم بما عليهم نحو أوطانهم وعقيدتهم ولم

نهيىء لهم الفرصة ليعتنقوا الأفكار الصالحة، ولم نعمل على تقويمهم وتهذيبهم خسرنا الصفقة وأصبحنا ضحية للإهمال وعدم المبالاة.

ولعله لم يغب عن بالنا أنه في بعض البلاد التي نكبت بالشيوعية كان الابن يتجسس على أبيه، ويكون السبب في سجنه، وأحياناً في قتله ونهب ماله ذلك إنه لم يتربَّ على الدين الذي يغرس فيه الأخلاق، ويعرف عن طريقه حقوق الوالدين، بل ترك وشأنه تتقاذفه أمواج المبادىء الهدامة وتتجاذبه شياطين الإنس، وإذا كنا قد اعتنينا بصحة أجسام الشباب عن طريق الرياضة، فلا بد أن نعتني بأرواحهم عن طريق الثقافة والدين وغرس الأخلاق والقيم في نفوسهم، فتلقى المحاضرات والندوات الثقافية في المجالات التي يحتشد فيها الشباب، ويعرفون بواجبهم نحو أمتهم ووطنهم ودينهم، وإذا كان أبناؤنا اليوم لا يقبلون إلا على كل هزل وهزيل، ويرفضون كل جاد وجزل، فلا بد من إصلاح هذا الاعوجاج في التفكير، والأخذ بأيديهم إلى الطريق السليم، ولنتذكر قوله تعالى: ﴿اعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ وقوله تعالى: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم﴾.

وعلينا أيضاً أن نقيم العدل فيما بيننا، وأن ننصف من أنفسنا وألا يتطاول بعضنا على بعض، وألا يحتقر بعضنا

بعضاً، وأن نقف مع المظلوم وننصفه من الظالم، وأن نترك العصبية والعنصرية، فالشيوعية تستغل الظلم في المجتمعات لأنها تدعي أنها تقف بجانب المظلومين والمحرومين والمضطهدين، ولقد أحسن الشيخ محمد الغزالي عندما أورد مقالاً في هذا الصدد فقال: [هب أن معتدياً لطم ضعيفاً وأخذ منه شيئاً، وتطلع المسكين يمنة ويسرة فوجد رجلين أحدهما شيوعي كافر والآخر مسلم من هؤلاء الدهاقين الذين يقولون ولا يفعلون أو على الأصح لا يقولون شيئاً، أما الشيوعي فقد احتج على ما وقع وبدأ يعرض عونه وأما الكاهن فقد أسرع مسيره وهو يقول ﴿يضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ أليس هذا هو الشيطان الأخرس كما سماه نبي الإسلام؟

أليس هذا الجبان الفار من معركة الشرف هو أول من يمهد للشيوعية ويغري الجهلة باعتناقها؟]!

فلا بد إذاً من أرض صلبة يقف عليها الذي يريد أن يدفع الخطر عن نفسه، ولا بد من أن يستند إلى جدار قوي من لا يريد أن يتقهقر إلى الوراء، ولا بد أن يطمئن إلى ما عنده من عدة إذا أراد أن يحقق النصر على الأعداء، أما إذا داهمه العدو وهو مفكك القوى، واقف على أرض رخوة ليس وراءه ما يستند إليه فلا شك في أنه سينهار من أول وهلة، ويخر صريعاً من أول ضربة.

إن القوة ليست القوة المادية فحسب؛ إنها أيضاً القـوة الـروحية والمعنـوية والعـزم والتصميم على تحقيق النصر، ويجب ألا يغيب عن بالنا بأن العقيدة لا تقاوم إلا بالعقيدة، ونحن العرب والمسلمين لا عقيدة لنـا إلا الإسلام، فنحن بالإسلام كل شيء، وبغير الإسلام لا شيء، فالإسـلام هو القوة السحرية القادرة على تجميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية واحدة بعد إزالة الشعـور بالتفـرقة العنصـرية من نفوسهم، وهو الطاقة التي تسري حرارتها في الأجسام فتدفع المؤمن إلى أن يدافع عن أرضه وثرواتـه وعقيدتـه بكل مـا يملك مسترخصاً في سبيل ذلك حيـاته، فـإذا نحن راجعنا حساباتنا، وعدنا إلى الإسلام عقيدة وشريعة، ورفعنا رايتـه فزنا والله بخير الدنيا والآخرة ﴿ولينصرن اللَّهُ من ينصره إن اللَّهَ لقويٌّ عزيز﴾.

●●●

استقلال القضاء بين الشيوعية والديمقراطية

في خلال أسبوع واحد نقلت وكالات الأنباء خبرين قضائيين، أحدهما من واشنطن، والآخر من موسكو، الخبر الذي من واشنطن يقول: إن إحدى المحاكم الأمريكية رفضت دعوى قدمتها الحكومة بطرد سبعة أشخاص أردنيين ينتمون للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وسيدة كينية، قد اتهموها بالانتماء إلى منظمة شيوعية، وبمخالفة نظام التأشيرات، وقد استندت المحكمة في رفض الدعوى على عدم حضور المسؤول المختص لإدارة الهجرة والجوازات لتقديم المستندات التي تؤيد الدعوى، وعليه فلم تستطع السلطات أن تطرد هؤلاء من أرض الولايات المتحدة قبل أن يصدر حكم من المحكمة.

أما الخبر الذي من موسكو فهو قرار من الحكومة بطرد سبعين قاضياً من وظائفهم، بسبب خضوع هؤلاء القضاة في أحكامهم لتأثير رؤساء الحزب الشيوعي في مناطقهم، وجاء في الخبر أنه لا يزال هناك قضاة ينتظرون الطرد بسبب التطهير الذي يجريه جورباتشوف وأنصاره، وكلمة التطهير معناها في عرف الدول الشيوعية إبعاد العناصر الموالية للمسؤولين السابقين إذا انتصر أحد الأجنحة في السلطة على الجناح

الآخر.

هذان الخبران يشيران إلى مكانة القضاء في كل من النظامين الديمقراطي والشيوعي.

فبينما نجد أن القضاء في النظام الديمقراطي يتمتع باستقلالية وقداسة، نجده في النظام الشيوعي ضحية لتدخلات أعضاء الحزب، فلا يجد الفرصة في الحيدة والاستقلالية، هؤلاء القضاة الذين طردوا من الوظيفة هم ضحايا، لأنه ليس هناك نظام يحميهم من تدخل الحزب، فوقعوا بين المطرقة والسندان.

وقد يتساءل المرء هل أولئك الذين وقف القضاء الامريكي إلى جانبهم لو أنهم كانوا في موسكو واتهموا بالترويج للأفكار الرأسمالية، هل يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم أمام القضاء؟ وهل يمكن للقضاء أن يقف إلى جانبهم ضد السلطات التنفيذية في حالة عدم ثبوت التهمة عليهم؟

ويلاحظ أنه لا يستطيع أي مسؤول في دولة ديمقراطية أن يتدخل في شؤون القضاء كما يتدخل أعضاء الحزب الشيوعي في دولة شيوعية.

أذكر أنه قبل عدة أشهر نشرت الصحف، ومنها جريدة الاتحاد الظبيانية عن قضية في استراليا، تتلخص في أن أحد المسؤولين في نادٍ رياضي اتهم باختلاس وسرقة أموال

النـادي، وقدم المتهم إلى المحكمـة وثبتت عليه التهمـة، ولكن القاضي أصدر في القضية حكماً خفيفاً جدًّا لا يتناسب مع الجريمة التي ارتكبها المتهم، فأثارت المعـارضة هـذه القضية في البرلمان، واتهمت رئيس الوزراء بـالتأثيـر على القضاء، وقد نفى رئيس الوزراء التهمة بشـدة، ثم تكونت لجنة للتحقيق في الأمر، فتبين أن رئيس المحـاكم الابتدائيـة في المقاطعة التي يقـع فيها النـادي هو الـذي ضغط على القـاضي لإصدار هـذا الحكم الهزيـل، فرفعت الحصـانـة القضائية بعد ذلك عن هذا الرئيس، وقدم إلى المحاكمة أمام محكمة خاصة، وحكم عليه بأربع سنوات سجن، وذكر وقتها أنه طلب استئناف الحكم الذي صدر عليه، إلا أنني لم أتابع ما نشر بعد ذلك، فلا أدري ماذا كانت نتيجة الاستئناف.

والخلاصة أن القضاء في الدول الـديمقراطيـة، قضاء مستقل محايد، بعكس ما عليه الأمر في الدول الشيوعيـة، والغريب أنك ترى كثيراً من الشيوعيين العرب يعيشون في دول الغـرب، ويتمتعون بـالحريـة في ظل هـذه القوانين، وبعضهم يعيش في بحبوحة من النعيم، ولا يستطيع أن يعيش في الدول الشيوعية، ولا أسبوعاً واحداً، ومع ذلك يعمل بكل جهده أن تكون بلاده شيوعية، يحكمها حـزب واحد، هـو الحزب الشيوعي.

ونحن المسلمين لا نريد أن تكـون بلادنـا على النظام

الغربي، ولا على النظام الشيوعي، ولا نريد الإفراط في الحرية إلى حد التطرف كما هو في الغرب، ولا نريد التفريط فيها، وخنق الحريات كما هو في الشرق، ولكننا نريد نظاماً ينبع من الإسلام الذي من أحكامه أن يكون القاضي مستقلاً في قضائه، ولا يخشى أحداً إلا الله، قال تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد ضرب القضاة في التاريخ الإسلامي أروع الأمثلة في استقلالية القضاء، فالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف في خصومة مع أحد رعيته أمام القاضي في حائط (بستان) وينفذ حكم القاضي على نفسه، ويحلف اليمين كغيره من الناس، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يفقد درعه ويجدها عند يهودي فيلجأ إلى القضاء، ولم يقبل القاضي من الإمام دعواه إلا ببينه، وعندما وجد اليهودي العدل في القضاء الإسلامي أسلم طائعاً مختاراً، لأنه عرف أن الإسلام هو دين العدل.

ولعل مما يفتخر به القضاء الإسلامي على مر التاريخ ذلك الحكم الذي أصدره قاضي المسلمين بسحب الجيش الإسلامي من سمرقند، بعد أن اشتكى أهلها أنهم أخذوا على غرة، ولم ينبذ إليهم كما تقضي بذلك أنظمة الحرب في الإسلام، مما لم يحصل مثله في تاريخ الأمم القديم

والحديث.

وكثير من الوقائع في التاريخ الإسلامي تدل على استقلالية القضاء ومكانته السامية، ومهما انحرف المسلمون فإن نصاعة الإسلام لا تطمسها أهواء البشر ﴿إنّا نحن نزلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون﴾.

●●●

عيـد العمـال

تحتفل الدول الشيوعية وبعض دول العالم الثالث بما يسمى عيد العمال، وهو أول مايو من كل عام، يحتفلون فيه بمناسبة الاعتراف بحقوقهم، وانتصارهم على الرأسماليين الذين ظلموهم كثيراً، وقد تبنى الشيوعيون مطالب العمال حتى تحققت لهم بعض المكاسب، ولكن بعد أن أقاموا حكومات باسم العمال، ماذا عملوا لهم؟

لقد كان العمال يحلمون بحياة فيها رفاهية وفيها عزة وفيها كرامة، فماذا كان مصير أحلامهم هذه؟

لقد أصبح الحزب الشيوعي هو المسيطر على مقدرات كل بلد يحكمها بالحديد والنار، وأصبح العمال آلة صماء، وأيقنوا أن الجنة الموعودة التي كان يمنون بها أنفسهم أصبحت ناراً ملتهبة تحرق العمال والكادحين، لقد سحق لينين وستالين الآلاف المؤلفة من الكادحين وهم في طريقهم ـ كما زعموا ـ إلى الجنة الموعودة، إنها نار حمراء اصطلى أول من اصطلى بها العمال والكادحون.

أصبحوا في أغلال وسلاسل حديدية لا ينفكون عنها، والآن بعد سبعين سنة من قيام أول حكومة شيوعية في روسيا

قامت باسم العمال، وفي هذا العصر الذي تفجرت فيه الأرض بخيراتها، بسبب تقدم الوسائل والكشوف العلمية، تعالوا نر ما تحقق للعمال من مكاسب في ظل الحكومات الشيوعية، وما تميزوا به عن زملائهم في الدول الرأسمالية التي تعتبر عدوة للعمال والكادحين في نظرهم.

دلت الدراسات التي نشرت في المجلات المتخصصة أن العامل في موسكو لكي يحصل على ما يلزم أسرته المكونة من أربعة أشخاص في أسبوع من حليب وخبز وخضروات وغير ذلك، يلزمه أن يعمل واحداً وخمسين ساعة، أي ثلاثة أضعاف المدة التي يعملها العامل في باريس أو لندن أو ميونيخ أو واشنطن، مع ملاحظة أن كل أسرة في الاتحاد السوفييتي في المدن لديها شخصان في المتوسط يعملان ليكسبا قوت الأسرة.

وأكدت الدراسة أن على العامل السوفييتي أن يعمل لمدة مائة دقيقة من أجل الحصول على عشرين بيضة، في حين أن العامل الأمريكي لا يعمل أكثر من عشر دقائق، والإنجليزي لا يعمل أكثر من عشرين دقيقة للحصول على نفس العدد من البيض، ولكي يشتري العامل السوفييتي سيارة متوسطة الحجم عليه أن يعمل لمدة سبع سنوات، في حين أن العامل في المانيا الغربية لا يعمل أكثر من سنة واحدة للحصول على السيارة ذاتها، والاستثناء الوحيد هو

الإيجارات، فالإيجارات في موسكو أرخص منها في المدن الغربية، ولكن الشقق في المدن السوفييتية صغيرة، والمساحة السكنية لكل سوفييتي تساوي ثلث المساحة السكنية لكل أمريكي.

وذكرت الدراسة أن هناك فارقاً في نوعية السلع لدى الغرب ولدى السوفييت، ولكنها لم تأخذ في الحسبان الوقت الذي يقضيه الزبائن وقوفاً في الطوابير، واحتمال عدم وجود بعض السلع.

ليس المقصود من عقد هذه المقارنات أننا نفضل النظام الرأسمالي على النظام الشيوعي، وإنما المقصود هو كشف الزيف والتضليل الذي يقوم به الشيوعيون، وخداعهم للعمال بزعمهم أن الشيوعية هي جنتهم، بينما الواقع غير ذلك، أما الرأسمالية فلا يدعي أحد أنها تنصف العمال، أو أنها لا تستغلهم، ومع ذلك فإنها أقل ظلماً للعمال في الوقت الحاضر من الشيوعية، ونحن لا نرى في الرأسمالية ولا في الشيوعية العدالة المنشودة، وإنما نراها في الإسلام، الذي حرم الاستغلال بجميع صوره وأشكاله، وأعطى السلطة الرشيدة الحق في وضع الأنظمة والقوانين التي تحمي العامل من الظلم والاستغلال في إطار العدالة والشريعة، لأن الإسلام لا يمثل الحكم فيه طبقة معينة، ولا يتحيز لجهات معينة.

إن عيد العمال الحقيقي هو اليوم الذي يشعر فيه العامل بإنسانيتـه، فلا يسـاق كما تسـاق الماشيـة، العيد الحقيقي للعمال وللبشرية جمعاء هو اليوم الذي تتخلص فيه الشعوب من الأنظمة الشيوعية المستبدة، وتتنفس الصعداء لتستنشق نسيم الحرية، وتتخلص من الاستغلال والقهر من أي جهة كانت ﴿فمن اتّبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ صدق الله العظيم.

●●●

على هامش انتخابات بولندا
وسقطت الشيوعية

في نهاية الحرب العالمية الثانية زحفت القوات السوفييتية على دول أوروبا الشرقية، وأقامت حكومات شيوعية موالية للاتحاد السوفييتي ـ على الرغم من شعوبها ـ مستغلة غزو ألمانيا ودول المحور لهذه الدول، وتحالف الدول الغربية مع الاتحاد السوفييتي في هذه الحرب التي انتهت بهزيمة المحور، وبعد ذلك مكن الاتحاد السوفييتي الأحزاب الشيوعية في هذه الدول من الحكم.

ومن ذلك الحين سموها ديمقراطيات شعبية، مع أنها ديكتاتوريات لا تختلف عن النازية في استبدادها وعسفها، وجبروتها، وأصبحت تلك الشعوب محوطة بستار حديدي تحت الحكم الشيوعي، وتحكم فيها من سموا أنفسهم بالثوريين، وادعوا أنهم إنما يمثلون العمال، ولكن الشعوب التي سيطر عليها الشيوعيون أظهرت أنها لا تبغي للحرية بديلاً، وأخذت تتحين الفرص للتخلص من القهر. ولولا أن الجيوش السوفييتية تحتل تلك البلاد، وتفرض هيمنتها على مرافقها وعلى قواتها المسلحة، وتقمع كل حركة بكل قسوة

وشدة لانتهى الحكم الشيوعي منذ زمن طويل.

وقد كان الشيوعيون يسمون الجيوش وقوات الأمن في الدول غير الشيوعية أدوات قمع، فلما تولوا هم استخدموا تلك الأدوات أسوأ استخدام، وكان قمعهم أشد وأقسى، والآن قد شمل التغيير الاتحاد السوفييتي نفسه، فقد وجدت تلك الشعوب الفرصة لإظهار رغبتها في الحرية والتخلص من الشيوعية، ونرى الآن بولندا بعد أن اضطر الحزب الشيوعي الحاكم أن يسمح لنقابة التضامن غير الشيوعية بترشيح أعضاء منها في البرلمان، وإن كان في حدود وقيود وشروط، ليضمن الحزب لنفسه الاستمرار في الحكم، إلا أن تلك الانتخابات قد أظهرت أن الشيوعيين لا يمثلون إلا أنفسهم، وأنهم فشلوا أن يحسّنوا صورتهم مهما أظهروا من مرونة وليونة، فقد سقط كل مرشحيهم، ولولا أن القانون الذي وضعوه يكفل لهم البقاء في الحكم لفقدوا مقاعدهم كلها وركلهم الشعب كلهم عن بكرة أبيهم، فقد سقط الشيوعيون أمام نقابة عمالية غير شيوعية، وذلك لأن الشيوعيون خدعوا العمال، وأوهموهم بأنهم يدافعون عن حقوقهم، فلما تسلموا الحكم ظلموا العمال واستغلوهم، وأكلوا حقوقهم.

أفاق العمال فوجدوا أنفسهم كالأنعام السائبة، ليس لهم إلا ما يدخل بطونهم، كما أنه ليس لهم اختيار فيما يدخل

بطونهم، لأنهم يأكلون ما يريد الحزب أن يأكلوه حتى لو أضر بصحتهم، ففي كثير من البلدان التي يتحكم فيها الشيوعيون يستوردون للشعب مواد غذائية انتهت مدة صلاحيتها، ومع ذلك يبيعونها للشعب ويرغمونه على أكلها، واستخدموا العمال وكأنهم آلات صماء لا يعطونهم من جهدهم إلا بقدر ما يشغل هذه الآلات، كالآلة التي تفقد قطعة الغيار، وقد يؤدي التسيب والاهمال إلى ترك الآلة يعلوها الصدأ، ويموت العمال من الأمراض وسوء التغذية.

واليوم شعر الشيوعيون أن الأرض تهتز من تحتهم، وأن سحرهم قد بطل، ولم يعودوا يستطيعون خداع الناس، فقالوا إنهم يسعون الآن إلى التعددية الحزبية، على أن تكون القيادة لهم، وذلك حتى يتغلبوا على المعارضة، وحتى لا يجرفهم طوفان التغيير، ويلاقوا مصيرهم المحتوم.

ونلاحظ أن الشيوعيين العرب قد أصابهم الذعر والارتباك من هذه التغييرات، واضطربوا في تصرفاتهم، وبعضهم لا يريد أن يعترف بهزيمة الشيوعية وفشلها، وأخذ يبرر ويدعي أن هذه التغيرات تجري في محيط الشيوعية، وأنه لا تناقض بينها وبين الشيوعية الأصلية، وبعضهم لبس مسوح الرهبان وحاول أن يقنع الناس أنه طيب السريرة، وأن ثوريته وشيوعيته ويساريته ليست كثورية وشيوعية ويسارية لينين وستالين، وأنه يكن كل الحب والاحترام والخير

للأنظمة المحافظة، وأنه لا يضمر لها سوءاً، وأنه يحترم الأديان والعادات والتقاليد، وأن ما كان يسعى إليه فقط هو أن يتوحد العرب ضد الاستعمار الغربي، وأنه ما دام قد تغيرت الأمور ولم يعد للاستعمار نفوذ كما كان، ولم تعد له أطماع فإنهم مستعدون للتعاون مع الغرب، وبعض العرب مغفلون قبلوا منهم هذا المنطق ولا يدرون أن الغرب هو الذي يسير هؤلاء، وأنه يحتفظ بهم للانقلابات والثورات عند اللزوم، ويستخدمهم عندما يرى أي نظام محافظ يهدد مصلحة اقتصادية له، أو لا يأتمر بأمره، وهؤلاء لا يردعهم شرف ولا دين ولا مروءة ولا أخلاق، فهم على استعداد أن يقتلوا القتيل ويمشوا في جنازته، وإذا أتيحت لهم الفرصة سينقضون على ضحاياهم انقضاض الوحوش المفترسة، وحوادث التاريخ قد برهنت على صدق هذا القول، فليعد كل منا بذاكرته لما جرى في التاريخ القريب والبعيد منذ قام لينين بثورته في روسيا، إلى تراقي وحفيظ الله في أفغانستان، كل ثوراتهم قامت على المكر والخداع والخيانة، فهم يخونون أقرب الناس إليهم، ويفتكون بأصدقائهم في سبيل الحكم والسيطرة، وكثيراً ما نصح الناصحون هؤلاء المغفلين ولكنهم لم ينتبهوا إلا بعد وقوع الكارثة.

ومحضتهم نصحي بمنعرج اللوا

فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

نحن لا نطالب بالانتقام منهم، ولا نطالب بمعاملتهم

كمعاملتهم هم للآخرين، لكن كل ما نطالب به ألا يكونوا في قيادات الشعوب، لأنهم غير مأمونين، ولا يمكنوا من السيطرة على مراكز التوجيه حتى لا يفسدوا عقائد الشباب، ولا تنتشر في المجتمع عقائد الكفر والإلحاد، والدعوة إلى الفوضى والعنف، وما يسمونه في مبدئهم بالصراع الطبقي، ونحن نسأل الله لهم الهداية دائماً وأن يعودوا إلى دينهم وأمتهم وأن يتوبوا إلى الله ويكفّروا عما ارتكبوه في حق الإسلام، الذي تنكروا له وهاجموا أحكامه، ونفروا منه، وضللوا كثيراً من الشباب حتى اعتنقوا الشيوعية،

وإذا كان كبار اليساريين الآن يتعاونون مع أمريكا بدلاً من روسيا، ويبررون ذلك بأن أمريكا هي التي غيرت من موقفها، فإن الذي يعرفه كل الناس أن أمريكا لم تتغير لا في سياستها ولا في أيديولوجيتها، وإنما هم الذين يتقلبون بين الشرق والغرب، ومن هنا نعرف خطأ ما قاله اليساري القديم يوسف إدريس لمجلة أكتوبر في عددها (٦٥٨) بتاريخ ٣٠/شوال ١٤٠٩ هـ. في تبرير حضوره حفل السفير الأمريكي هو ولطفي الخولي والدكتور إسماعيل صبري عبد الله ومحمد حسنين هيكل ومحمد سيد أحمد، تلك الحفلة التي أقامها السفير وحضرها مستشار الأمن القومي الامريكي وليم كوانت.

وكل ما نطلبه من هؤلاء اليساريين أن يكون تقاربهم مع

إسلامهم قبل تقاربهم مع أمريكا والغرب، لأن الإسلام هو الضمان الوحيد للثبات على المبدأ، والإيمان به يكون المناعة الحقيقية ضد تقلبات السياسة ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾.

•••

أفغانستان وعملاء الشيوعية

في السويد تقوم المظاهرات، وترفع الاحتجاجات من أجل أفغانستان، للمطالبة بسحب القوات السوفييتية الغازية، وحتى الحزب الشيوعي السويدي اشترك في المطالبة بسحب القوات السوفييتية من أفغانستان، ترى لماذا يقف أهل السويد هذا الموقف، بينما نرى من يعتبرون عرباً ومسلمين يدافعون عن غزو السوفييت لأفغانستان، ويذهب بعض الصحفيين إلى كابول ثم يأتون إلى بلادهم ويكتبون ضد الجهاد الأفغاني ويشيدون بالسوفييت والشيوعيين هناك؟

الجواب واضح، والفرق بين هؤلاء وهؤلاء أن أهل السويد عندما يقولون إنهم يناصرون الحرية ويدافعون عن الشعوب، يكونون صادقين في قولهم، ومخلصين لمبادئهم، أما هؤلاء فعلاقتهم بالشيوعية علاقة عمالة، لا علاقة مبدأ فقط، وقد امتهنوا الكذب والزيف والخداع، وبعض الصحف العربية مع الأسف تتجاهل الجهاد الأفغاني، وإذا نشرت أخباره لا تعطيها أي أهمية، فتكون في حيز ضيق في الصفحات الداخلية، وكأنها أخبار أمريكا اللاتينية، أو جزر واق الواق، وهؤلاء يقفون هذا الموقف لأسباب مختلفة، إما لإرضاء عناصر يسارية لها نفوذ عندهم، أو عدم معرفة

بـواجباتهم نحـو الخطر الـذي يتهدد وطنهم، أمـا الواجب الإسلامي والاهتمام بأمر المسلمين فهذا آخر ما يفكرون فيه.

والغريب في أمر اليساريين أنهم كانـوا يقيمون الـدنيا ويقعدونها عندما كان الأمريكان في فيتنام، ويرفعون عقائرهم بـالشجب والإدانة لأمـريكا الامبـريالية، ويتـظاهـرون بـأن مواقفهم تلك تنطلق من حرصهم على حريات الشعوب، أما إذا كان الاتحاد السوفييتي هو الذي يستعمر الشعوب ويغزوها بقـواته، ويقتـل النساء والأطفـال بقنابله، فـذلك جـائز في قانونهم وعرفهم، فالشعب الأفغـاني لا حق له أن يحـارب القوات السوفييتية الغازية، أما الشعب الفيتنامي فله الحق كل الحق أن يحارب القوات الأمـريكية، ويجب أن تقف كـل الشعوب إلى جانبه، والعمالة للاتحاد السوفييتي في عرفهم وطنية، والعمالـة لأمريكـا وحدهـا هي الخيانـة، بل إن بعض الشيوعيين يتطرف ويعتبر كل من لا يقف معهم خائناً.

إن الأحرار هم الذين يرفضون استعباد الشعوب من أي جهة كانت، ويدينون كل ممارسات الغزو والتحكم في مصائر الشعوب، سواء كان من أمريكا أو من روسيا، والعملاء فقط هم الذين يبررون ظلم الظالمين، وتعسف المتسلطين، ولا يستنكـرون التدخـل الخارجي إذا كـان من دول يتبعونهـا، وينتمون إليها في الفكر.

وسنجد أنه لا غرابة في ذلك إذا قرأنا كتاب كرافتشينكو

(آثرت الحرية) فقد كان المؤلف من كبار الشيوعيين، وكان والده من الذين اشتركوا في الثورة ضد القيصرية، قال في هذا الكتاب بعد أن كفر بالشيوعية (إن الشيوعية فكرة تفرض على كل من يعتنقها أن يفنى فيها وينسى كل شيء عداها، ينسى الدين والوطن والأسرة، والشيوعيون خيوط أخطبوط، تنتشر هذه الخيوط في جميع أنحاء العالم، وتتجمع في موسكو التي تجذبهم وترسلهم، وتقيمهم وتقعدهم حسب ما تشاء، فيصبحون أخطر من الاستعمار المادي، فالشيوعيون في أي دولة خطر على كيانها الداخلي، لأنهم لا يستوحون اتجاهاتها بقدر ما يستوحون اتجاهات موسكو).

والآن تلوح في الأفق مساومات على مستقبل أفغانستان، بعد أن فقد الشعب الأفغاني مليون ونصف المليون من أبنائه، في سبيل تحرير أرضه، ورفع راية الإسلام، ووجد السوفييت أنه من المستحيل أن تبقى قواتهم في أفغانستان، وأنها لا تستطيع أن تحمي النظام الشيوعي، فأخذ الروس يفكرون الآن مع الأمريكان على وضع معين لأفغانستان، لا يكون فيه للمجاهدين دور، ويحال بين المجاهدين وبين الإمدادات التي تأتيهم عبر باكستان، فتكون هناك حكومة ترضى عنها أمريكا وروسيا ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خيرُ الماكرين﴾.

●●●

فضل الجهاد الأفغاني على الشعوب

لماذا لم تتحرك الجيوش السوفييتية كما تحركت في الستينيات والخمسينيات لقمع حركات التحرر في المجر وتشيكوسلوفاكيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية؟ لعل الجواب سيكون أن التغيير الذي حصل في الاتحاد السوفييتي على يد جورباتشوف، والتراجع عن الشيوعية في روسيا نفسها هو السبب في ذلك، وهذا جواب وجيه، ولكن هناك حقيقة يجب ألا تنكر وهي أن الدرس الذي تلقاه الاتحاد السوفييتي في أفغانستان من الشعب الأفغاني على يد المجاهدين كان له الفضل الأكبر في ذلك، بل وفي التغيير الذي حصل في الاتحاد السوفييتي لأنه أحدث ردة فعل في شعوب الاتحاد السوفييتي ضد عتاة الشيوعية من الحرس القديم الذين قاموا بالغزو، وعرضوا شعبهم للإهانة، وأبناءهم للقتل والتشويه، فالهزيمة والفشل لم تكن في الحسبان، ولم يعتد عليها الاتحاد السوفييتي فأوجد ذلك تفاعلات عند الشعب خاصة عند المثقفين، فإن كل الدول والشعوب تعيد حساباتها وتراجع نفسها وتمعن في تفكيرها فيما ينتهجه قادتها في سياسات البلاد الاقتصادية والعسكرية بعد أن يواجهوا صعوبات لا قبل لهم بها، ومن هنا يجب أن

تشكر كل الشعوب التي ابتليت بالشيوعية المجاهدين الأفغان الذين أعادوا للجبابرة صوابهم، ومرغوا أنوفهم في التراب، وأعطوا الأمل للشعوب بأن في إمكانها أن تتخلص من كل قوة تجثم على صدرها مهما عظمت، ولا يفوتنا هنا ونحن نتابع نضال الشعب الفلسطيني أن نشير إلى الاتصال الروحي بين الجهاد الأفغاني والانتفاضة في فلسطين وكلاهما ينطلق من روح الإسلام، وبعزيمة أهل الحق تكون هزيمة أهل الباطل، فقد توحد الهدف الآن بين الجهاد الأفغاني والجهاد الفلسطيني وهو القتال من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وبغير الالتفاف نحو هذا الهدف لن يتخلص العرب والمسلمون من الظلم الواقع عليهم، فيجب أن نعرف أن الدول الكبرى تتفق وتختلف بقدر اتفاق مصالحها وتعارضها، ولا تلقي بالاً لحقوقنا ومصالحنا، فكما اتفقت أمريكا وروسيا سنة (١٩٤٨ م) على قيام دولة فلسطين فهما متفقتان الآن على احتلال اليهود لفلسطين، وإنكار حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى بلاده، وها هم اليهود السوفييت الآن يتوافدون على فلسطين بعد أن تقاربت وجهات النظر بخصوص قضية الشرق الأوسط وإن اختلفت سياسة أمريكا وروسيا حول قضية أفغانستان إلا أنهما تتفقان على الحيلولة دون إقامة حكم إسلامي في أفغانستان، وقد ظن بعض العرب أن السوفييت سيكونون معنا إلى الأبد لأنهم مع الحق وهم مخطئون في ذلك، فلا

السوفييت ولا الأمريكان ينشدون الحق، يبقى أن نعتمد على أنفسنا بالجهاد الإسلامي في كل بلد يضطهد فيه المسلمون، ويجب ألا ننسى موقف الماركسيين العرب من قضية فلسطين منذ بدأت هذه القضية، كيف كانوا ينظرون إليها، لقد كانوا ينظرون إلى الصراع بين العرب وإسرائيل من وجهة نظر ماركسية وأممية، فلا تخفى مواقفهم عندما قامت الحرب بين العرب واليهود سنة (١٩٤٨ م) إذ كانوا يتمنون انتصار اليهود، لأن في ذلك انتصاراً لمبادئهم ضد الرجعية والاقطاع كما يزعمون، ومواقفهم دائماً ذيلية وعمالة لروسيا، ولنتصور الآن كيف يكون موقفهم بعد أن تقارب الشرق والغرب، وانسجمت مصالح أمريكا وروسيا في المنطقة، فقد كانت قبلتهم روسيا وكوبا ونيكاراجوا، واليهود الذي يسمونهم ضحايا النازية أقرب إليهم من المسلمين العرب، هذا ما تنطق به ألسنتهم، وتؤمن به قلوبهم، وتقوله مبادئهم، ولذلك فنحن لا نستغرب أن يعادي الماركسيون العرب الجهاد الأفغاني الذي تأكد الآن أن له الفضل الأكبر في إنقاذ الشعوب من براثن الشيوعية وأوقف الزحف الأحمر الذي كان في طريقه إلى المياه الدافئة، فجزى الله المجاهدين الأفغان خير الجزاء، وتقبل جهادهم وشهداءهم ونصبهم ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نَصَبٌ ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظُ الكفار ولا ينالون من عدوٍّ نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

على هامش أحداث ازبكستان

يزعم دعاة الشيوعية أنهم ضد كل النزعات العرقية والعنصرية والطائفية، وأن الحكم الشيوعي كفيل بالقضاء على كل هذه النزعات، ولكن تبين أنه بعد سبعين سنة من الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية الأخرى أن هذا ادعاء غير صحيح، فالاضطرابات العرقية التي تفجرت في الآونة الأخيرة في الاتحاد السوفييتي تدل على أن الشيوعية قد فشلت فشلاً ذريعاً في توحيد القوميات، وأنها عامل تفرقة لا عامل وحدة، وأوضحت حوادث أزبكستان أن أعضاء الحزب الشيوعي المحلي لهم دور في تأجيج هذه الصراعات، فقد جاء في تصريح نيكولاي ريجيكوف عن هذه الاضطرابات التي أودت بحياة مئة من المواطنين أن مسؤولي الحزب الشيوعي المحليين لهم دور كبير في إثارة هذه الاضطرابات.

والواقع أن أساس المشكلة هو فيما قام به الشوعيون منذ تسلموا الحكم قبل سبعين عاماً وقد شردوا المواطنين، واستولوا على أموالهم ومزارعهم، وبذروا أسباب الشقاق بينهم، وهجروا مواطنين من إقليم إلى إقليم آخر، لتزيد

الحساسيات والنزاعات بين أهـل الاقليم والطارئين عليهم، ويقـوم أفراد الحـزب بتصرفـات هـوجـاء، ويتحكمـون في الناس، ويشيعون الفرقة والخلاف بينهم، ولا يتحرون العدالة فيما يعرض عليهم من مشاكل، ويزداد الكبت والحرمان فـي المـواطنين، وبمناسبة اضـطرابات أزبكستـان يجدر بنـا أن نـذكـر ارتباط العرب بهذه المناطق الإسـلامية، فلعـل الكثيرين لا يعرفون أن حديقة الأزبكية مثلاً بالقاهرة، وعشرات المساجد الشامخة في أحياء القاهـرة بناهـا أهل هـذه البلاد، وإقليم الشاش وإيلاق الذي ينتسب إليهما كثير من علماء المسلمين يقعان الآن في جمهورية أزبكستان التي عاصمتها طشقند، فمن أولئك الأعلام الإمـام أبو بكر بن محمـد بن علي بن إسماعيل القفال (الكبير) الشاشي المولود سنة ٢٩١ هـ. وأبو بكـر بن محمد بن أحمـد الحسين الشاشي القفـال الملقب بفخر الإسلام، ولد بقريـة ميافـرقين من أعمال شـاش سنة ٤٢٩ هـ. وأبو بكر عبد الرحمن المروزي المشهور بالقفال الصغير الذي توفي سنة ٤١٧ هـ. في مصر ودفن عند قبـر الإمام الشافعي، وكان من علماء وأعلام الشافعية في مصر والعراق، ومن أعلامهم أيضاً أبو الحسن علي بن الحاجب الشاشي، وهو من علماء الحديث والفقه، وكانت وفاته في بلاده شاش، وكثير غيرهم الذين أنجبتهم هذه البلاد عندما كان للإسلام كلمة.

وهذه الجمهوريات الإسلامية التي تكون أغلب أراضي الاتحاد السوفييتي وتزيد مساحتها على القارة الأوروبية قد ابتلعت بعضها الصليبية الروسية، ثم جاء الشيوعيون وابتلعوا الباقي بعد أن خدعوا المسلمين بأنهم سيخلصونهم من حكم القياصرة.

ويجب أن نذكر هنا أن لأولئك المسلمين الفضل في صد هجمات القيصرية الروسية على الشرق، فالمؤرخ الروسي فادييف اعترف أن الحرب في شمال القوقاز شلت حركة الجيوش الروسية ومنعتها عن مواصلة تقدمها نحو الشرق، فهو يقول: (لولا الحرب القوقازية التي عاقت تقدمنا لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق بأجمعه من مصر إلى اليابان، وهي تسير على نغمات فرقها الموسيقية). فقد احتلوا تركستان وغيرها من البلاد الإسلامية في آسيا الوسطى، وقد جاء الشيوعيون سنة (١٩١٧ م) ووعدوا المسلمين بالحرية، وفي البيان الذي وقعه لينين وستالين الموجه إلى المسلمين يقول: (أيها المسلمون في روسيا أيها التتار على شواطىء الفولجا وفي القرم، أيها القرغيز والساريتون في سيبيريا والتركستان، أيها التتار والأتراك في القوقاز، أيها التشليون، أيها الجبليون في أنحاء القوقاز أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم، واعتدي على عقائدكم وعاداتكم، وداس القياصرة والطغاة على مقدساتكم

ستكون لكم حرية عقائدكم وعاداتكم، وحرية نظمكم القومية، ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم، لا يطغى عليها طاغٍ، ولا يعتدي عليها معتدٍ، هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم، فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل، إن ذلك من حقكم، واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق أفراد الشعب الروسي تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة، وبكل ما يتوفر لها من وسائل، وجند أشداء، ومجالس للعمال، ومندوبين عن الفلاحين، إذن فشدوا أزر هذه الثورة، وخذوا بساعد حكومتكم الشرعية).

وما أن استقر الأمر للشيوعيين حتى قلبوا ظهر المجن للمسلمين، وظهر كفرهم وإلحادهم وحقدهم على الإسلام بصورة خاصة.

في إبريل سنة (١٩١٨ م) أصدر لينين أمراً بالزحف على البلاد الإسلامية دون سابق إنذار، فأخذت الدبابات تحصد المدن، وتدك الحصون والقلاع، والطائرات تمطر بالقنابل دون تمييز وفي سنة (١٩١٩ م) استولوا على جمهورية الإش أوردو.

وفي أبريل سنة (١٩٢٠ م) احتلوا القرم وهجموا على أذربيجان وحاصروا جمهورية جنوة التركمانية من ثلاث اتجاهات حتى سقطت في أيديهم آخر عام (١٩٢٠ م) بعد دفاع مستميت من أهلها.

وفي سنة (١٩٢١ م) هجموا على جمهورية بخارى واستمرت حرب العصابات من أهل بخارى عشر سنوات.

ثم باشر الشيوعيون الإبادة الجماعية، فنفوا بعض الشعوب من موطن آبائهم وأجدادهم إلى سيبيريا أو مناطق أخرى.

وفي سنة (١٩٣٤ م) قتلوا من التركستان وحدها مائة ألف مسلم بما فيهم أعضاء الحكومة المحلية، والعلماء والمثقفون والتجار والمزارعون.

وبين سنة (١٩٣٧ م) وسنة (١٩٣٩ م) ألقت الحكومة الروسية القبض على خمسمائة ألف مسلم وأعدمت فريقاً منهم، ووزعت آخرين في مناطق أخرى من الاتحاد السوفيتي، واستمر القتل والنفي والطرد من البلاد إلى سنة (١٩٥٠ م).

ونحن عندما نذكر هؤلاء المسلمين نذكر سلفنا الصالح منهم الذين أنجبتهم بخارى وسمرقند والتركستان، الذين أثروا ثقافتنا الإسلامية، ونذكر منهم الإمام البخاري والزمخشري والجرجاني والتفتازاني، وأبا نصر الفارابي، وعالم الرياضة والفلك خالد بن عبد الملك، وأبا ريحان البيروني، وشمس الدين السرخسي صاحب أعظم كتاب في الفقه الحنفي، والجوهري صاحب الصحاح في علم اللغة.

وما فعله الشيوعيون السوفييت بـالمسلمين في الاتحاد السـوفييتي قلدهم فيه كـل الشيوعيين الـذين استولـوا على الحكم، اضطهدوا الحريات، وعاثوا في الأرض فساداً، فقد قلد الشيوعيون في أوروبا الشرقية أسيادهم في روسيـا بعد الحرب العالمية الثانية.

واليـوم نرى انحسـار الشيوعيـة، وتطلع الشعـوب إلى الحرية، وبالأمس أعيد الاعتبار لعمر ناجي رئيس جمهورية المجر، الذي أراد أن يخلص بلاده من دكتاتورية الشيوعية، وهو مسلم من أصل تركي يلفظ اسمه أمرعناج بعد أن اتهموه بالخيانة وقتلوه شنقاً بواسطة الروس، وهذا مـا فعله الروس بقيادة خروشوف، الذي ناقض نفسه بنفسه عندما أدان أعمال ستالين الإجرامية وفي عهده ثم في عهد بريجنيف كانت الجرائم التي ارتكبها الشيوعيون وآخرها في أفغانستان.

إن الشيوعيين لا يمكن أن يؤمنوا على حريات الناس، وإن تراجعوا وأظهروا حرصهم على الحرية.

●●●

وانكشف زيفهم

لقد أرجف المرجفون، وكذب الكاذبون، ونافق المنافقون، وظنوا أن الشعوب الإسلامية قد أدارت ظهرها للإسلام، وأنها تتجه نحو الشيوعية أو العلمانية، وأن الإسلام يجب أن يتوارى ولا يتجاوز المسجد، كالمسيحية التي لا تتجاوز الكنيسة، واتهموا كل من ينادي بالإسلام، ويرفع شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن الإسلام دين ودولة، وأن الحكم لله أحكم الحاكمين، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن على البشر أن يتبعوا منهج الله في حياتهم وسلوكهم، ولا يقارفوا المنكرات، ولا يجاهروا بالمعاصي في مجتمعاتهم، لا بيوت دعارة ولا بارات، ولاأندية فسق ولا سفور، ولا ربا ولا استغلال ولا فجور، كل من يقول ذلك اتهم بالرجعية والجمود والتخلف، وأنه يريد أن يرجع عقارب الساعة إلى الوراء، ويعيد الإنسانية إلى القرون الوسطى، وأنه يتستر بالدين من أجل الأغراض الخاصة، فهو يستغل مشاعر المسلمين وعواطفهم من أجل مكاسب مادية وسياسية.

وينسى هؤلاء الذين يتهمون رجال الإسلام بكل ذلك أن الذي يهدف إلى تحقيق مصالح خاصة من دعوته، ويسعى

إلى أغراض دنيوية لنفسه لا يصمد في وجه الطغيان، ولا يعرض نفسه لغضب السلطان، ولا يفضل السجون والمعتقلات والتعذيب والقتل على السلامة والتمتع بذهب المعز.

وأن الذين يستغلون مشاعر الناس وعواطفهم، ويسعون إلى المكاسب المادية هم الانتهازيون، الذين يحسنون التقلب مع كل وضع، ويجعلون من أنفسهم سيوفاً وألسنة للطغاة، فهم يعيشون على الكسب الخبيث.

والذين يتاجرون بالدين هم الذين لا يصلون إلا في المناسبات، وأمام الجمهور وآلات التصوير، ويظهرون الاحترام للدين ويكيدون له في الخفاء، بإلغاء أحكامه، وإنهاء دوره في الحياة، ويناصرون المذاهب والمبادىء المناهضة له.

أولئك هم المنافقون يظهرون ما لا يبطنون، ويزيفون الحقائق، ويلصقون التهم بالأبرياء.

إن الأفكار الشيوعية لم تعد تجذب الشباب في بلاد المسلمين، وإن الماركسيين قد باؤوا بالفشل في كسب ثقة الجماهير، وتبين أنهم لا يأتون إلى الحكم إلا على الحراب والدبابات، أو لتمكين الاستعمار لهم من الحكم، انتقاماً من الشعوب التي كانت تقاومه، ويحنون إلى أيام الاستعمار الذي

كان يمكن الماركسيين واليساريين من الحكم ليزيدوا الناس فقراً على فقرهم، وتخلفاً على تخلفهم.

ولما رأت الشيوعية العالمية أن عملاءها قد انكشفوا على حقيقتهم، وأنهم يريدون أن يبدلوا استعماراً باستعمار أسوأ وأبغض من الاستعمار الغربي، غيّرت تكتيكها، وأوحت إلى عملائها بألا يتظاهروا بمعارضة الدين وخاصة دين الإسلام، وأن الإلحاد الذي هو أساس الشيوعية يجب أن يروج له بين الشباب في المدارس والمؤسسات فقط، ولا ينشر على نطاق واسع في المناطق الإسلامية، حتى لا تنفر الجماهير منهم، وخرج علينا الكتاب الشيوعيون يحاولون أن يتقربوا من الإسلام، ويقولون إنه لا يتعارض مع الماركسية، ويحاولون إخفاء الجانب الإلحادي في الماركسية.

وجن جنون الماركسيين عندما منوا بالهزيمة في الانتخابات المصرية الأخيرة، وخاصة عندما أظهرت الانتخابات اتجاه الجماهير نحو الإسلام، وفاز الإسلاميون على الرغم من الحملات التي توجه ضدهم، وقد اتضح الآن أن الشعوب الإسلامية قد تبين لها كذب الماركسيين وخداعهم، وزيف ما يدعون إليه من تحرر وعدالة، لأن العدالة معناها عند الماركسيين هي أن يتربع الماركسيون على الحكم باسم العمال والفلاحين، وهم يفوزون بالمكاسب، ويسكنون القصور، ويتنعمون بأموال الشعب،

ويذيقون العمال والفلاحين الفقر والحاجة، ويصادرون أملاك الناس باسم الشعب، وهم الذين يتمتعون بـالثمرات بينما الشعب يلهث من أجل لقمة العيش، وقـد تنبهت الشعوب الآن لخداع الشيوعيين ومكرهم، ولم تعد تنطلي على الناس دعاياتهم ومزاعمهم ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

●●●

اطلبوا الحقيقة ولو بالصين

نشـرت جـريدة العـرب القطريـة في ٢٣/٩/٨٦ م (أن سكرتير الحزب الشيوعي في مقاطعة هانشو في إقليم هونان الصيني في الجنوب، ألقي القبض عليه مؤخـراً بتهمة أنـه استغـل نفوذه لاغتصـاب أربعٍ وعشـرين امرأة، وأوضحت الصحيفـة أن وانج بنشـوان (٤٢ عامـاً) كان يعـد ضحايـاه بترقيات كبيرة في عملهن، أو بمساعـدتهن في أن يصبحن عضـوات في الحزب، ومن وقت لآخـر كان يهـدد الفتيات المتـرددات بإظهـار بطاقتـه الرسميـة التي تثبت أنه بـالفعل سكرتير الحزب في المقاطعة.

وأضـافت الصحيفـة أنـه كـان يسبب متـاعب مختلفـة للفتيات اللاتي يرفضن طلبه، وذلـك على سبيل الانتقـام، وأفادت الصحيفة أيضـاً أن وانـج بنشوان كان مطارداً قضائيًّا بتهمة أنه قبض أكثر من ٣٠٠٠ يوان (٩٣٥ دولاراً) كرشوة، وبتهمة أنه قام بتهريب أكثر من تسعة أطنان من الصلب، وقد نشرت الصحف الصينية منذ بداية العام عدداً من المقالات التي تندد باستغلال مسؤولين صينيين لنفوذهم، كما أشارت مؤخراً إلى أن سكرتير الحزب في إحدى القرى قام بتعذيب (١٧) من سكـان القـريـة لكي يكتشف سـارق قـطعـة من

دراجته.

إن عضو الحزب يجعل من نفسه إمبراطوراً وحاكماً على الشعب، ولا يتورع عن الإقدام على أي جريمة باسم حماية الثورة والنظام، ويطلق لنفسه العنان في سجن من يشاء، وتعذيب من يشاء، ومن وقف في وجهه لفق له تهمة الثورة المضادة والعمالة للإمبريالية والرجعية، والعمل على تقويض النظام (التقدمي) الذي يعيث فيه هو فساداً، فيسرق كل ما يقع تحت يده من مساعدات تأتي لتوزيعها على المتضررين، وقد جرت العادة أن الكوارث التي يكون فيها متضررون لا تنقطع عن البلدان الثورية، بسبب الصراع المستمر على السلطة، والإهمال في إقامة حواجز وسدود، والاستعداد للطوارىء، فتراهم دائماً يعيشون على المساعدات، التي لا يصل منها إلى الشعب إلا الفتات، وبعض الدول والمؤسسات الإنسانية ترسل مساعداتها وتكتب عليها مثلاً، هدية مقدمة إلى شعب كذا، من جهة كذا، فيقوم أهل السلطة بشطب الكتابة التي عليها وبيعها في السوق السوداء لحساب المتنفذين في الحزب والسلطة، فهم لا يكتفون بمصادرة أملاك الناس وإحالتهم إلى فقراء، بل ينتزعون حتى لقمة العيش من أفواههم، التي جاءت معونة وصدقة من الخارج، ويسنون قوانين شديدة على الناس تتعلق بالهجرة والتجارة، ويتدخلون في حياة الناس في كل صغيرة وكبيرة،

مـن أجل ابتزازهم، وسلب أموالهم، فيكون أعضاء الحزب هم الوحيدين المتمتعين بالرفاهية، وبحجـة عدم وجود العملة الصعبة يحرم الناس من كل ما يحتاجونه حتى من الأدويـة والفواكه وغيرها.

هذا الذي حدث في الصين، هو صورة لما يحدث في كل بلد نكب بالشيوعية، إذ غالباً ما يكون أعضاء الحزب من الغـوغـائيين والفـوضـويين، وذوي السـوابق في الجـرائم والشغب، فيستسيغون كل التصرفات الشاذة والهمجية، ولا يردهم شيء من المروءة والمثـل والأخلاق، وعنـدما يقـول الشيوعيون إنهم يمثلون الشعب وعندهم مجالس منتخبـة، فانتخاباتهم صوريـة، فلا يستـطيع أحـد أن يرشـح نفسه بـدون مـوافقة الحـزب، والحزب لا يـرشح إلا الشخص الـذي يكـون عضواً فيه، أو متعاطفاً معه، ومع ذلك كل هذه المجالس لا سلطة ولا رأي لهـا ولا يستطيـع أحـد فيهـا أن يفتـح فمـه بمـا لا يرضي اللجنة المركزية بالحـزب، ومن أنبه ضميـره، وقال كلمة حق، سرعان ما يختفي من المسرح، ولا يستطيع أحد أن يسأل عن مصيره

لذلك فإن الشعوب ترفض سيطرة الحزب الواحد، لأنه في ظل الحرية ينكمش المفسدون، ويقضى على الفساد، وتسلط الأضواء على السلبيات والمساوىء، فتستقيم الحال وتسود العدالة، ونظام الإسلام يرتكز على الأمر بـالمعروف

والنهي عن المنكر، وهو يقتضي حرية الكلمة، وإبداء النصيحة، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها). وقال (من رأى فيّ اعوجاجاً فليقومه، وعندما قال له أحد الحاضرين إن رأينا فيك اعوجاجاً سنقومه بسيوفنا، قال عمر: (الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه).

هؤلاء هم حكام الإسلام ليس عندهم زوار الفجر، يجهزون عليك وأنت تهمس في بيتك ، فيا أيها المفتونون بالشيوعية تأملوا هذه القصة التي جاءت من الصين تعبر عن حقيقة الشيوعية، وإذا كنا مأمورين أن نطلب العلم ولو بالصين، فلنطلب الحقيقة أيضاً ولو بالصين.

●●●

ملكيون أكثر من الملك

تتكشف كل يوم مساوىء النظام الشيوعي وفساده، منذ أعلن جرباتشوف عن خطته الجديدة في التغيير، حيث أتيح لأجهزة الأعلام أن تظهر سلبيات النظام الشيوعي منذ قامت ثورة أكتوبر، ولا تزال هذه السلبيات تظهر للعالم الخارجي شيئاً فشيئاً، وإن كانت في الواقع معلومة لكل من عرف طبيعة الأنظمة الشيوعية، ولم تخدعه الدعايات التي يروجها الشيوعيون وعملاؤهم خارج الاتحاد السوفييتي.

وقد نشرت جريدة برافدا أخيراً نقداً لاذعاً للطريقة التي كان يدار بها الحزب الشيوعي خلال السنوات السبعين الماضية، وقد وصف مقال كتبه مسؤول في وزارة الصناعات الجهاز الحاكم في الحزب أنه دكتاتور وهدام، كما نشرت أيضاً قصة عشرين فتاة انتحرن بسبب ما تتعرض له النساء من الإهانة، وهتك الأعراض من قبل بعض المتنفذين في الحزب، مستغلين نفوذهم وسلطتهم.

ومما نشر من قضايا الفساد إقالة النائب الأول لوزارة الداخلية تشورباتشوف من منصبه، وهو صهر الرئيس السابق بريجنيف، بعد أن ثبت أنه تقاضى رشوات قدرت بمبلغ

مليون روبل، وسيقدم إلى المحاكمة مع آخرين، إلى جانب تسريح آلاف الضباط من رجال الشرطة وإعفائهم من مناصبهم بسبب الرشوة والفساد، واضطهاد الناس، هذا ما يجري في الاتحاد السوفييتي، ويجري مثله في الصين الشيوعية، وقد كشف عن ذلك في التغييرات الأخيرة التي تشهدها الصين.

ونحن عندما نذكر ذلك لا نزعم أن الدول غير الشيوعية مبرأة من الفساد، ولكن نريد أن نلفت النظر إلى أن كثيراً من الشيوعيين العرب لا يزالون يمارسون التضليل والخداع، ويروجون للأفكار الشيوعية، ويدافعون عنها ليوقعونا في شباكها، متجاهلين ما تقوم به الشعوب التي نكبت بالشيوعية من محاولات للتخلص منها، والمثال على ذلك أن ما سمي منتدى الفكر العربي في الأردن نظم ندوة للحوار العربي السوفييتي تحدث فيها رئيس قسم البلاد العربية بأكاديمية العلوم السوفييتية بموسكو، عما يقوم به جرباتشوف من تغيير، وما سماه (بيروسترويكا) بالاتحاد السوفييتي، [فنقد النظام الشيوعي منذ تأسيسه وقال إن التغيير يشمل الأسس الاقتصادية للمجتمع بما فيها الملكية، وإن ما سمي ملكية الدولة في الاتحاد السوفييتي قد تحول إلى ملك البيروقراطية في المصالح والوزارات، ولم يعد التخطيط من أجل الشعب فقد نما اقتصاد الظلم في مجال التوزيع والتبادل وأدى إلى ورم

بيروقراطي، ولم تعد الأجور ترتبط بالعمل، وإنما بالوظيفة مما جعل أسس العدالة الاجتماعية مفقودة.

وعندما تحدث عن الديمقراطية قال إنها ديمقراطية شكلية، الانتخابات كانت عبارة عن تصويت، وليس هناك نقد من أسفل إلى أعلى، ومن أجل ذلك أصبح التغيير في النظام ضروريًا].

هذا ما قاله مفكر شيوعي سوفييتي، وأهل البيت أدرى بما فيه، ولكن بعض الشيوعيين العرب الذين حضروا الندوة لم يعجبهم القول، وساءهم أن يطعن أحد في النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي حتى لو كان أحد أركان هذا النظام، وعندما اعترضوا عليه وثاروا لم يملك إلا أن قال لهم إنكم ملكيون أكثر من الملك.

وفي إحدى دول الخليج عقدت ندوة استمعت إلى شريط مسجل لما دار فيها، وقد هالني أن الندوة دعاية صريحة وصارخة للشيوعية، تحدثت فيها صحفية شيوعية معروفة، ودعت بوضوح إلى الانضمام والانحياز إلى المنظومة الاشتراكية، ودافعت عن الماركسية، وكما هي عادة الشيوعيين حشرت في حديثها من الكلمات الرنانة الشيء الكثير، وهاجمت بعض الدول وخاصة الدولة التي جاءت منها، وعندما رد عليها أحد الحاضرين وكان ـ كما قال عن

نفسه ـ أن له تجربة في أحد الأحزاب الشيوعية، وأنه كان من دعاة الشيوعية المتحمسين، ولكنه كفر بها بعد أن رأى بعينيه ما رأى من مآسٍ ، وقد تبين له أن كل من يدعو إلى تطبيق النظام الماركسي في بلاده إنما يسعى إلى تدميرها، ويجرها الى استعمار أشد وأعنف من الاستعمار الغربي ، وأن السفير السوفييتي في أي بلد يطبق فيها النظام الماركسي هو الحاكم بأمره، وردت عليه الصحفية الشيوعية بكثير من الأكاذيب والمغالطات، وأرجعت كل ما يحصل في الأنظمة الشيوعية من سلبيات هو بفعل الرجعية والامبريالية، وهاجمت دولة عربية بعينها، اتهمتها أنها تستخدم أموالها في تأجيج الصراع بين الثوريين الشرفاء، وفاتها أنها بقولها هذا إنما تتهم أصحابها من الثوريين الشرفاء من دون أن تشعر بأنهم تلعب بهم الأموال، وأن من السهل كسبهم إلى جانب الرجعية والإمبريالية بالمال، إذاً فهم لم ينفكوا عن العمالة، سواءً للشيوعية الدولية، أو للإمبريالية والرجعية، وكان بودي أن تسأل نفسها هل تستطيع أن تعود إلى الدولة التي هاجمتها لو كانت من دول المنظومة الاشتراكية، أو أنها ستؤخذ من المطار إلى المصير المجهول إذا تجرأت على العودة.

ومن المغالطات أن نتجاهل أن الصراع على السلطة في الأنظمة الشيوعية هو من طبيعة هذه الأنظمة، وقد يؤدي إلى الاحتكام للسلاح، وأن يقتل الزميل زميله، والصديق

صديقه، والرفيق رفيقه، فهل إذا تصارع جناحان في حزب شيوعي نقول إن الرجعية والامبريالية هي السبب؟ وإذا كانت هي السبب في إثارة الخلافات بين أعضاء الحزب الواحد فأي طرف هو العميل؟ لا ريب أن الطرف العميل في منطق الثوار سيكون هو المهزوم في الصراع، وقد درج الشيوعيون أن يصفوا أصدقاء الأمس ورفاق الأمس بالعمالة، وما أسهل أن يوجهوا لهم أسوأ الاتهامات من الانحراف إلى الخيانة العظمى، المهم في عرف الشيوعيين وأنصارهم أن تكون في السلطة، فإذا كنت في السلطة فأنت الثوري الحر، والوطني الغيور، أما إذا خرجت من السلطة نتيجة للصراع فأنت الخائن والعميل والمرتشي والعفن، هذا هو منطق الشيوعيين، ومنطق الثوريين.

وبعد ذلك نقول: أما آن للشيوعيين العرب أن يعترفوا بالأمر الواقع، ويعترفوا أن الشيوعية لم تعد الحل المناسب لمشاكل العالم العربي، وأنها قد سقطت في الامتحان، وهذه شهادات أصحابها!؟ سبعون سنة مرت على شعوب الاتحاد السوفييتي وهي تعاني من الظلم والاستبداد والاضطهاد، وتتحكم فيها أعضاء الحزب الشيوعي.

مئات الآلاف قتلوا منذ عهد لينين وستالين، ومئات الآلاف ماتوا في معسكرات الاعتقال في سيبيريا.

وقل ما تشاء عن ضحايا الثورة الثقافية في الصين،

والظلم والاستبداد الذي عانت منه شعوب المجر وبولندا ورومانيا، وتشيكسلوفاكيا والبانيا، وألمانيا الشرقية التي أحاطت بلادها بسور حتى لا يهرب شعبها إلى ألمانيا الغربية، وحدث ولا حرج عن الشعوب التي نكبت بالشيوعية في أفريقيا وآسيا، فهل بعد هذا كله، وبعد أن اعترف أساطين الشيوعية بظلمها وجبروتها تريدون لشعوبكم الذل والهوان؟

والملاحظ أن التغييرات الأخيرة في الاتحاد السوفييتي، والتي يقوم بتنفيذها جرباتشوف لا تشتمل على تغيير في موقف الشيوعية من الدين الإسلامي خاصة، فلا يزال الشيوعيون وعلى رأسهم جرباتشوف يقفون موقفاً معادياً له، وإن كان هناك فائدة للمسلمين من هذا التغيير فهي تتمثل في عدم الحرص على تصدير الشيوعية، وإثارة الاضطرابات في البلدان الأخرى من أجل الأممية وإقامة أنظمة شيوعية خارج البلاد الشيوعية، وهذا أمر إيجابي ترحب به الشعوب.

●●●

فلنأخذ العبرة من كوبا

نقلت وكالات الأنباء أن عشرة آلاف من الكوبيين قد اقتحموا سفارة بيرو في هافانا طالبين حق اللجوء السياسي، ولو لم تتخذ الإجراءات لمنع دخول المزيد لتضاعف العدد، والواقع أن جميع الدول الشيوعية لو أتاحت الفرصة لشعوبها للخروج لما بقي منها إلا العاجزون عن السير من شيخ هرم أو طفل، لأن الجنة الأرضية التي كان الشيوعيون يمنون شعوبهم بها قد أصبحت جحيماً مستعراً، والشعوب التي اصطلت بنار الشيوعية أصبحت تلوذ بالفرار منها، ولا أدري كيف يختار بعض الناس لشعوبهم هذا المصير!؟

لقد كانت كوبا جزيرة غنية بمواردها، وخاصة من السكر الذي تصدره إلى جميع أنحاء العالم، فأصبحت الآن لا تصدر إلا الحروب والفتن.

وبعد أن كانت تذيق الناس حلاوة السكر، أصبحت تذيقهم مرارة الحروب، وتعرض أبناؤها للقتل والتشويه، فترسلهم ليكونوا وقوداً لحروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، اللهم إلا قهر الشعوب وتعبيدهم للشيوعية الدولية لتكون على شاكلتها في الفقر والقهر، ولتذهب مواردها جميعها ليلتهمها

الدب الروسي.

وقد أصبح الكوبيون الآن يترحمون على دكتاتورية باتستا.

وقد نعذرهم في تأييدهم لكاسترو وزمرته في أول الأمر، لأن كاسترو ورفاقه ما كانوا يعلنون عن أنفسهم أنهم شيوعيون، بل كانوا يحاربون على أنهم وطنيون ثوريون يحاربون الدكتاتورية والظلم، فلما أيدهم الشعب واستولوا على السلطة واستقر لهم الأمر أعلنوا شيوعيتهم وأسسوا حزبهم الشيوعي الذي يحكم كوبا اليوم بالحديد والنار، وهذه هي عادتهم دائماً يتسترون وراء واجهات وطنية وشعارات براقة، ويدخلون في جبهات متعددة، تارة يسمونها تقدمية وتارة يسمونها وطنية حتى يتمكنوا من السلطة، وبعد ذلك يصبون جام غضبهم على كل الناس، يسومونهم سوء العذاب فيقتلون من يقتلون، ويسجنون من يسجنون بقانون العنف الثوري وبحجة القضاء على الثورة المضادة، ولا أحد عندهم يستحق الحياة والعيش إلا هم، ولا أحد يملك شيئاً إلا الدولة، والدولة هم وهم الدولة، لا نصيب للشعب إلا الشعارات.

والدين عندهم أفيون الشعوب، وعلماء الدين هم الكهنوت، لذا نصبوا أنفسهم آلهة وكهنة لشعوبهم، وأصبحت شعارات الماركسية واللينينية هي الأوراد التي يرددها

المخدرون بأفيون الشيوعية من الشباب المغرر بهم، وبلهاء الناس من أنصاف المتعلمين.

ولا يتورع الشيوعيون أن يكونوا عملاء لدول أخرى ينفذون مخططاتها ويمكنونها من استباحة أرضهم ووطنهم، ويعرضون حياة شعوبهم للدمار إرضاء لساداتهم وأصنامهم في موسكو أو بكين. وشعوب الهند الصينية خير مثال على ذلك، فبعد أن استبسلت تلك الشعوب في حربها ضد فرنسا وأمريكا حتى أخرجت الاستعمار الفرنسي من بلادها ثم الاستعمار الأمريكي، وحازت بذلك إعجاب العالم، فماذا صنع الشيوعيون ببلادهم بعد ذلك؟

لقد جعلوها ضحية للصراع بين موسكو وبكين، وأصبح أصدقاء، الأمس أعداء اليوم، وأصبحت شعوبهم لاجئة.

وقتلوا منها أضعاف أضعاف من قتل أيام حربْ الأميركيين والفرنسيين وتفشت فيهم الأمراض والأوبئة.

وعاصمة كمبوديا التي كان سكانها عشرة ملايين نسمة، أصبحوا الآن أقل من ثلاثة ملايين.

ولو فتحت الدول المجاورة حدودها للاجئين لما بقي أحد فيها، وبعضهم فضل العوم في البحر وعلى ظهور السفن والأخشاب من البقاء في وطنهم.

وحتى في أوروبا كثيراً ما سمعنا عن مغامرات الالمان

الشرقيين عندما كانوا يريدون الفرار من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية، وكيف أن الشيوعيين قد جعلوا بلادهم حظيرة حيوانات، فأحاطوها بسور، ولكنه سور كهربائي يموت من يحاول اجتيازه.

ولا يخفى ما للولايات المتحدة من دور في دفع كثير من البلدان إلى اعتناق الشيوعية بسبب مواقفها المتحيزة للباطل، كما أنها كثيراً ما تتخلى عن أصدقائها وقت المحن، وأحياناً تدفع الأمور إلى التأزم، فإذا وقعت الواقعة تركت أصدقاءها يذهبون إلى الهاوية فهي مثل المنافقين الذين يقول الله فيهم: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنكم، والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون﴾.

وهي أيضاً مثل الشيطان الذي ﴿قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾.

فقد شاهدناها تتخلى عن أصدقائها في فيتنام وفي أنغولا، ولم تساعد باكستان عندما زحفت عليها الهند، بتأييد من الاتحاد السوفييتي، على الرغم من الأحلاف والمعاهدات التي كانت بينها وبين باكستان يومئذٍ ثم تراها تعترض على امتلاك باكستان للقنبلة النووية وهي حليفتها، ولم تعترض

على الهند وهي صديقة الاتحاد السوفييتي، ثم هي لم تساعد أفغانستان أيام الحكم الملكي لتقف ضد التغلغل الشيوعي بل تركته ينهار أمام تدخلات الروس المستمرة حتى أصبحت أفغانستان اليوم حمراء قانية تسيل دماؤها لتملأ الوديان والرحاب، وقد تمتد هذه الحمرة لتطغى على سواد البترول.

وليعلم العرب ويعلم المسلمون أنهم إذا كانوا يعتقدون أن أمريكا ستحميهم من الشيوعية فهم واهمون، لأن الكبار قد اعتادوا أن يتفقوا على مصالحهم ليقسموا الصغار، ولأن الشيوعية لا تزحف إلا إذا وجدت من تعتمد عليه في الداخل ممن يعتنق أفكارها ويرحب بها.

فروسيا نفسها لم تكن شيوعية إلا بعد أن اعتنق بعض الشباب الروسي المذهب الماركسي القادم من الغرب، وبمساعدة اليهود وبعض الدول الغربية نفسها نكاية بروسيا القيصرية ولم تزحف الآن على أفغانستان إلا بعد أن جاء أمثال تراقي وحفيظ الله أمين وبابرك كارمل ونجيب الله.

●●●

مؤتمر إسلامي
في بلد شيوعـي

بدعوة من الاتحاد السوفييتي عقـد مؤتمر إسـلامي في مدينة باكو بجمهورية أذربيجان بالاتحاد السوفييتي، حضره وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في بعض الدول العربية والإسلامية، وفي نفس الوقت الذي عقد فيه المؤتمر كتبت جريدة بـرافدا السـوفييتية مقـالاً افتتاحيًـا تحذر فيـه أعضاء الحزب الشيوعي السوفييتي من صحوة الشعـور الديني في روسيـا، ومن تأثيـر رجـال الـدين على الشعب، وانتقـدت الصحيفة ما سمته بالموقف المتسامح لبعض كوادر الحزب تجاه الدين، فقالت إن هؤلاء مخطئـون إذا ما اعتقـدوا أن الدين سيموت من تلقاء نفسه، لأن الطوائف الدينية تميل إلى التأقلم مع التغيير، وتهدف ليس فقط إلى الحفاظ على تأثيرها على المتدينين، ولكن إلى استمالـة المزيـد منهم، وبصفة خاصة من بين الشباب.

وأضافت الصحيفة أنه عندما يقع رجل على سبيل المثال ضحيةً لظلم اجتماعي، فإن رجال الدين يجتهدون لإضاءة الواقع على حقيقة الظلم، ومن ثم يتعين على المجتمع أن يمنع هذا الرجل من الانجذاب إلى طائفة دينية.

وركزت الصحيفة على الضرورة الملحة لدراسة أسباب التدين، ودرجته في مختلف مناطق الاتحاد السوفييتي، والدوافع الضرورية للاتجاه إلى الدين، وخصائص بعض الديانات وخاصة الإسلام، الذي يرتبط في بعض الجمهوريات بالعادات القومية.

والواقع أن جريدة برافدا عبرت عن الموقف الحقيقي للنظام الشيوعي الذي لا يعترف بالأديان، وأن هذه المؤتمرات التي تعقد بين آنٍ وآخر في الجمهوريات الإسلامية السوفييتية إنما تقوم بها وزارة الخارجية السوفييتية لأسباب دعائية من باب ذر الرماد في العيون، حتى يقال إن الشيوعية لا تحارب الأديان، وإن المسلمين في الاتحاد السوفييتي يتمتعون بكل حرياتهم في أداء شعائر دينهم، وإنه لا تعارض بين قيام نظام شيوعي في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي وبين الإسلام، وتحضر وفود من مختلف الدول الإسلامية توضع لهم برامج لزيارة بعض المساجد التي تفتح في المناسبات الدعائية، وبعض أعضاء هذه الوفود يخدعون بما يرونه في الأيام التي أعدت فيها المسرحية، فيأتون ويقولون وجدنا المسلمين هناك يتمتعون بكل حرياتهم، ويؤدون شعائر دينهم، وإنه ليست هناك حرب إلحادية ضد الدين.

وبعض أعضاء هذه الوفود غير مخدوعين، ولكنهم

يمشون مع الريح ، إن أرادت حكوماتهم أن يمدحوا مدحوا ، وإن أرادت أن يذموا ذموا .

فالمسألة كلها سياسة حكومات .

وبعض الحكومات اليسارية تخصص رجالاً يتزيون بزي علماء الدين، يلبسون الجبب والعمائم، يحضرون هذه المؤتمرات ويتحدثون فيها عن حرص دول المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي ، على حماية الدين وأن لا صحة لما يقال إن الشيوعية تحارب الدين، وإنما هي نظام اقتصادي فحسب، وإن كل ما يقال عن الشيوعية إنما هي دعاية إمبريالية ورجعية، ومثل هؤلاء لا يهمهم إلا مراكزهم التي لا تزيد عن كونها وظائف للدجل والنفاق، وما هم إلا ذيول لأصحاب السلطة من الشيوعيين والعلمانيين، بل هم محتقرون لأن تاريخهم معروف، فلا يحلون حلالاً ، ولا يحرمون حراماً، يركبون كل موجة ويرقصون على كل أغنية .

إن المؤتمرين إذا كانوا صادقين يجب أن يحتجوا أولاً على ما تقوم به القوات السوفييتية في أفغانستان من تقتيل وتدمير لإفناء الشعب الأفغاني المسلم، فهم يعلمون أن الأطفال الأفغانيين يموتون بقنابل النابالم المحرمة دوليًّا، ويعلمون أن روسيا الشيوعية تريد أن تلتهم أراضي أفغانستان كما التهمت روسيا القيصرية تركستان والقرم والأورال وسيبريا

وغيرها من أراضي آسيا الوسطى، التي كان يرفرف عليها علم الإسلام فأصبح يرفرف عليها الآن علم الكفر والإلحاد.

إن ما نشر عن جدول أعمال المؤتمر لا يوجد فيه ذكر قضية أفغانستان، اللهم إلا إذا اعتبروا الغزو السوفييتي لأفغانستان قضية لا تهم المسلمين.

وطبيعي أن جدول الأعمال تضعه الدولة المضيفة، وهي لن تضع ما يسبب لها الإحراج.

ولكن واجب المؤتمرين من المسلمين إن كان فيهم من يغار على الإسلام، أو عنده بعض الشعور بواجبه الديني أن يثير هذه القضية، ويجب ألّا تمنعه مجاملة الضيافة أن يقول كلمة حق، يبرىء بها ذمته أمام الله أولاً، وأمام المسلمين ثانياً ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه﴾.

إن المسلمين في الاتحاد السوفييتي لا حول لهم ولا قوة في ظل النظام الشيوعي، وقد عانوا الأهوال أيام القياصرة المسيحيين، فجاءت الشيوعية فزادت شراسة ووحشية.

في سنة (١٩٢٨ م) قرر الروس أن يجعلوا من القرم الإسلامية موطناً ليهود روسيا، وثار الشعب والحكومة، فقبض على رئيس الحكومة المسلم، ونفذ فيه حكم الإعدام مع أعضاء حكومته، وألغيت هذه الجمهورية وضمت إلى جمهورية أوكرانيا.

وإن روسيا تتخوف الآن من أن يتحرك المسلمون في شمال القوقاز، الذين عندهم حكم ذاتي شكلي، وكذلك الذين في حوض الفولجا للمطالبة بمزيد من الاستقلال، حتى يمكنهم التخلص من كابوس الشيوعية، ويتمتعوا بالعيش في ظل الإسلام بحرية كاملة، وهذا الذي تحذر منه جريدة برافدا، بل هذا ما دعا روسيا إلى احتلال افغانستان.

إذا اعتقد الشيوعيون أن في إمكانهم القضاء على الإسلام نهائيًا ومنع عودته إلى حياة المسلمين فهم مخطئون فإن الدلائل تشير إلى قرب أفول نجم الشيوعية والكفر والإلحاد وبزوغ نجم الإسلام، ولدينا نحن المسلمين من البشائر ما يجعلنا نطمئن إلى أن الله سينصر دينه ويعلي كلمته ولو كره الكافرون.

•••

فهـرس الكتـاب

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية
٤٢٠ لسنة ١٩٩٠ م.

